جمعية أنصار السنة
فــرع بلبيــس
اللجنــة العلميــة

٩ـ ١٠

رمضان وشوال ـ ١٤٣٨هـ

إشـراف

إعــداد

اللجنة العلمية

تربوية العبادة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ وبعد،

فالعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والأحوال والنيات، ورأسها شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

فالائتمار بأمر الله ورسوله تعبد، والانتهاء عما نهى عنه الله ورسوله تعبد، ومن هنا يظهر أثر التعبد في حياة المسلم الذي آمن بالله ربًّا، وبمحمد ﷺ رسولًا، وبالإسلام شريعةً ومنهاجًا، وهذا ما أُسمِيه **"تربوية العبادة"**.

وها نحن في مدخل شهر رمضان لعام **١٤٣٨**هـ وفيه الصيام، والصلاة، والزكاة، وقراءة القرآن، وغير ذلك، وبعده الست من شوال، وفيها الصيام، وغيره، وبعده العشر من ذي الحجة وفيها العمل الصالح، من صيام وصدقة، وقراءة للقرآن وبر وإحسان، وغير ذلك ويوم عرفة، والحج لمن استطاع إليه سبيلاً.

فهذه عبادات كلفها الله عز وجل عباده المؤمنين، فما من عبادة منها إلا ولها أثرها في حياة المسلم قولًا وفعلاً.

رأسها: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ: وتربويتها في سلوك المسلم، نراه في صحيح قوله ﷺ: " مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ "[1].

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨)، وهذا لفظه، ومسلم(١٥٧). من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

وفي حديث أبي هريرةرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ أعطاه نعليه وقال له: " اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ "(١).

والشاهد في قوله ﷺ: " **صدقًا من قلبه** "، " **مستيقنًا بها قلبه** "، وفي ذلك تقرير لمعنى وحقيقة الإيمان؛ وهو ما وقر في القلب، وصدقه القول والعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فلا إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان هما سيَّان متلازمان لا ينفكان، فهذه عقيدة النبي ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والإيمان بضعة وستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، كما صح ذلك عن النبيﷺ: فحقيقة الإيمان بالله ورسوله تظهر في سلوك الإنسان قولًا وفعلاً.

والمؤمن آمن في نفسه مؤَمِنٌ لغيره، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح لغيره " الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ "(٢)، وصح قوله ﷺ، في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبيﷺ قال: " خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ وَشَرُّكُمْ مَنْ لاَ يُرْجَى خَيْرُهُ وَلاَ يُؤْمَنُ شَرُّهُ "(٣).

ومن ذلك حقيقة حبِّ النبي ﷺ، نرى ذلك في قوله ﷺ في الصحيح: " لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ "(٤).

---

(١) أخرجه مسلم(١٥٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه بهذا اللفظ(٣٩٣٤).

(٣) أخرجه الترمذي(٢٤٣٢)، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٤) أخرجه البخاري(١٥)، وهذا لفظه، ومسلم(١٧٧).

وهذا يعني اتباع النبي ﷺ فيما أمر به، وفيما ينهى عنه وزجر، وحب النبي ﷺ ملازم لحب الله وحقيقة حب الله، اتباع النبي ﷺ، قال تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران: ٣١]

وتمام حبه ﷺ تقديم قوله وفعله ﷺ، على قول وفعل أي أحد، وقوله في حياته ﷺ كقوله المأثور بعد وفاته ﷺ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [الحجرات: ١]

سنته ﷺ الصحيحة، هي الميزان الأكبر عليها تُعرض الأقوال والأفعال، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل.

فهذا موجز أول ركن من أركان الإسلام، وأثره في سلوك الإنسان.

ثانيها: الصلاة: تربويتها في سلوك الإنسان: نراه في قوله تعالى {إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } [العنكبوت: ٤٥]

والفحش هو الأمر الذي اشتدَّ قُبحه، فهو القبيح الشنيع من القول أو الفعل.

والمنكر: كل ما تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو يقبحه الشرع أو يُحرمه، أو يكرِّهه.

والبغي: الظلم، والخروج عن الحد المشروع، ومجاوزة الحد في الشيء.

ثالثها: الزكاة: تربويتها في سلوك الإنسان، نراه في قوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: ١٠٣]

فنفعها في النفس ومتعدٍ غلى الغير، فيها تفرج الهموم وتنفس الكروب، وتقضى الحاجات، وتسد الديون، وتجلب المحبة والمودة والرحمة بين المسلمين.

نرى ذلك في صحيح قوله ﷺ: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ"(١).

رابعها: الصيام: وتربويتها في سلوك الإنسان، نراه في صحيح قوله ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، "الصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ، وَلاَ يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ"(٢).

وفي قوله ﷺ كسابقه من حديث عثمان بن أبي العاص: "الصِّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ"(٣).

فالصيام: سترة وحماية ووقاية ومانع من الرفث، وهو السُخف وفاحش الكلام، و الصخب: الصياح والسفه.

الصيام وقاية لصاحبه من النار، كوقاية المقاتل بدرعه في ساحة القتال، وفي صحيح قوله ﷺ: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"(٤).

خامسها: الحج: وتربويته في سلوك الإنسان، نراه في صحيح قوله ﷺ: " مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ"(٥).

---

(١) أخرجه مسلم(٧٠٢٨).

(٢) أخرجه البخاري(١٩٠٤) وهذا لفظه، ومسلم(٢٧٥٩).

(٣) أخرجه أحمد(١٦٢٧٨).

(٤) أخرجه البخاري(١٩٠٣).

(٥) أخرجه البخاري(١٥٢١) وهذا لفظه، ومسلم(٣٣٥٧).

حيث ترك أهله ووطنه وماله، وقد تجرد من ثيابه، ذاهبًا إلى محلةٍ، تلبيةً لدعوة ربه، تائبًا مما ألَّمه كبيرًا أو صغيرًا، فهلل وكبر، وصلى وطاف ودعا ربه باكيًا خائفًا راجيًا، وقد طوى صفحات على ما فيها، وفتح أخرى يزينها بعقيدة صحت، وتعبد ورد وتعامل شرع، يزينها بعدل، ورحمة ورفعة ولين، ولسان رطب بذكر الله، وقد كثر صياحه بقوله: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك".

وهو من صحيح قوله ﷺ من حديث ابن عمر رضي الله عنه، وكان يزيد فيه" لبيك وسعديك، والخير بيديك والرغباء إليك والعمل".

وفي ذلك: طهارة النفس من أوزار الذنوب والمعاصي، وإعلان العبودية لله وحده وخلع ما سواه والتجرد من شهوات النفس وملذاتها وإذلال الشيطان، ومرضاة الرحمن، وتنمية روح المحبة والتعاون بين المسلمين، والمساواة، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بتقوى الله.

نسال الله العفو والعافية، وأن يجعلنا صالحين مصلحين.

وكتبه

صبري محمد عبد المجيد

رمضان فرصة ثمينة فاغتنمه

لماذا رمضان؟ كيف نستغل رمضان؟ احذر الفوات

إن شهر رمضان شهر مغنم وأرباح، والتاجر الحاذق يغتنم المواسم ليزيد من أرباحه فاغتنموا هذا الشهر بالعبادة وكثرة الصلاة وقراءة القرآن والعفو عن الناس والإحسان للغير والتصدق على الفقراء.

فمن لم يغتنم الفرصة في هذا الشهر فهو موسوم بالذل والهوان والخسران كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، ورَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ"(١).

فإنه لشهر تغفر فيه الخطيئات وتضاعف فيه الطاعات فما ينسلخ إلا وقد غفر الله لمن أقبل على طاعته وتجاوز عن سيئاته فمن لم يغفر له فقد أُتى من قِبَل نفسه، ولا يهلك على الله إلا هالك وصار حقيقًا بالدعاء بأن يرغم الله أنفه لتفريطه في جنب الله وإقباله على خلاف مراضيه(٢).

وقد وصف الله هذا الشهر بقوله: {أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ} [البقرة: ١٨٤] فاغتنمها واستزد فيها من فعل الخيرات، كما قال النبي ﷺ: " وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِى كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ "(٣).

لماذا رمضان؟

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٥١٠).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير للأمير الصنعاني (٦/ ٢٥٩).

(٣) أخرجه مسلم(٢٧٢٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

لا أحد يعلم الحكمة من اختيار شهر رمضان من بين سائر الشهور للصيام وإنزال القرآن إلا الله، ولا نعلم خبرًا عن الرسول ﷺ، يذكر ذلك، والله عز وجل بيده مقادير كل شيء فهو سبحانه: {يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ } [القصص: ٦٨]، ومن اللطائف أن لفظ رمضان لم يذكر في القرآن إلا مرة واحدة، وكأنه حدَّث به في كتابه مرة، وشرع صيامه للعباد في العام مرة فمن اغتنمه كان من الفائزين ومن لم يبالي كان من الخاسرين، والله عز وجل اختصَّ هذا الشهر وفضَّله على سائر الأشهر ببعض الفضائل منها:

١-أُنزل فيه القرآن:

من أعظم الخصائص التي خص بها هذا الشهر الكريم، أن الله عز وجل اختصه بإنزال أعظم كتبه، قال سبحانه: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: ١٨٥]

قال ابن كثير: "يمدح الله تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور، بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم فيه، وكما اختصه بذلك، قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء"(١).

فمن أعظم النعم التي منَّ الله بها على عباده أن أنزل لهم كتابه فجعله هدىً للعالمين، ومنارة للسالكين، كما قال سبحانه: { ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } [البقرة: ٢]

وقال: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [الإسراء: ٩]، وجعله سبحانه شفاءً للمؤمنين فقال: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء: ٨٢]

---

(١) تفسير ابن كثير(١/ ٥٠١).

قال السعدى: "فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خسارًا"(١).

وهو خير الكلام على الإطلاق، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "خَيْرُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ"(٢).

٢-تفتح فيه أبواب الجنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا كَانَتْ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَنَادَى مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ"(٣).

وَقَوْلُهُ ﷺ: "فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجنة وغلقت أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ"، قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: "يَحْتَمِلُ أَنَّهُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَحَقِيقَتِهِ وَأَنَّ تَفْتِيحَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَتَغْلِيقَ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ وَتَصْفِيدَ الشَّيَاطِينِ عَلاَمَةٌ لِدُخُولِ الشَّهْرِ وَتَعْظِيمٌ لِحُرْمَتِهِ وَيَكُونُ التَّصْفِيدُ لِيَمْتَنِعُوا مِنْ إِيذَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالتَّهْوِيشِ عَلَيْهِمْ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الْمَجَازَ وَيَكُونَ إِشَارَةً إِلَى كَثْرَةِ الثَّوَابِ وَالْعَفْوِ.

---

(١)تفسير السعدي (ص: ٤٦٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٤٢).

(٣) أخرجه الترمذي(٦٨٢)، و ابن ماجه(١٦٤٢)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١٩٦٠). بهذا اللفظ وهو في صحيح مسلم مختصرًا(١٠٧٩).

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فَتْحُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ عِبَارَةً عَمَّا يَفْتَحُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الَّتِي لَا تَقَعُ فِي غَيْرِهِ عُمُومًا كَالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ وَفِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَالِانْكِفَافِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ وَهَذِهِ أَسْبَابٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ وَأَبْوَابٌ لَهَا وَكَذَلِكَ تَغْلِيقُ أَبْوَابِ النَّارِ وَتَصْفِيدُ الشَّيَاطِينِ عِبَارَةٌ عَمَّا يَنْكَفُّونَ عَنْهُ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ(١).

٣-فيه خير الليالي:

وهي ليلة القدر التي هي من أعظم النعم على هذه الأمة، وقد خصت هذه الليل

بكثير من الفضائل، قال ابن عباس وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ.(٢)

ووصفها ربنا بأنها ليلة مباركةٌ خيرٌ من ألف شهر: فقال سبحانه: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ} [القدر: ٣]، وقال جلَّ شأنه: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ} [الدخان: ٣]

ومن فضائلها: أن الملائكة تتنزل بكثرة فيها كما ذكر ربنا تبارك وتعالى، فقال تعالى: {تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر} أي: يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيما له. وأما

(١) شرح النووي على مسلم (٧/ ١٨٨).
(٢) تفسير ابن كثير(٨/ ٤٤١).

الروح فقيل: المراد به هاهنا جبريل عليه السلام فيكون من باب عطف الخاص على العام. وقيل: هم ضرب من الملائكة(١).

أن الله يغفر لمن قامها إيمانًا واحتسابًا ما تقدم من ذنبه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"(٢).

ووصفها ربنا بأنها سلامٌ: فقال تعالى: { سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر: ٥]

قال ابن كثير: هي سالمة، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا أو يعمل فيها أذىً(٣).

٤-سبب لمغفرة الذنوب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"(٤).

قوله ﷺ: "إيمانًا"، يريد تصديقًا بفرضه وبالثواب من الله تعالى، على صيامه وقيامه، وقوله: "احتسابًا"، يريد بذلك يحتسب الثواب على الله، وينوى بصيامه وجه الله، وهذا الحديث دليل بين أن الأعمال الصالحة لا تزكو ولا تتقبل إلا مع الاحتساب وصدق النيات(٥).

قَوْلُهُ ﷺ: "غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"، الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ أَنَّ هَذَا مُخْتَصٌّ بِغُفْرَانِ الصَّغَائِرِ دُونَ الْكَبَائِرِ قَالَ بَعْضُهُمْ وَيَجُوزُ أَنْ يُخَفِّفَ مِنَ الْكَبَائِرِ مَا لَمْ يُصَادِفْ صَغِيرَةً(٦).

---

(١) تفسير ابن كثير(٨/ ٤٤٤).

(٢) أخرجه البخاري(١٩٠١).

(٣) تفسير ابن كثير(٨/ ٤٤٤).

(٤) أخرجه البخاري(١٩٠١)، ومسلم(١٧٥).

(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٢١).

(٦) شرح النووي على مسلم (٦/ ٤٠).

٥-أن الله عز وجل أضاف صيام العبد إلي نفسه:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: " كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ "[١].

قال القاضي عياض: "تخصيصه الصوم هاهنا بقوله: " لي "، وإن كانت أعمال البر المخلصة كلها له تعالى؛ لأجل أن الصوم لا يمكن فيه الرياء، كما يمكن في غيره من الأعمال؛ لأنه كف وإمساك، وحال الممسك شبعًا أو فاقةً كحال الممسك تقرُباً، وإنما القصد وما يبطنه القلب هو المؤثر في ذلك، والصلوات والحج والزكاة أعمال بدنية ظاهرة يمكن فيها الرياء والسمعة، فلذلك خص الصوم بما ذكره دونها"[٢].

٦-خصَّ اللهُ الصائمين بباب من أبواب الجنة:

عَنْ سَهْلِ بِنْ سَعْدِ السَاعِدِي رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ "[٣].

وإنما أفردَ الصائمين بهذا الباب ليسارعوا إلى الري من عطش الصيام فى الدنيا إكرامًا لهم واختصاصًا، وليكون دخولهم فى الجنة هينًا غير متزاحم عليهم عند أبوابها، وفي هذا الحديث دليل على فضيلة الصيام وكرامة الصائمين[٤].

---

(١) أخرجه البخاري(١٩٠٤)، ومسلم(١٦٣).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض(٤/ ١١٠).

(٣) أخرجه البخاري(١٨٩٦)، ومسلم(١٦٦).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ١٥). و شرح النووي على مسلم (٨/ ٣٢).

كيف نستغل رمضان؟

أخبر النبي ﷺ: أن مناديًا ينادي من قِبَلِ الله عز وجل في هذا الشهر يقول "يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ"، وباغي الخير والفضل والثواب في هذا الشهر الكريم لابد أولاً أن يبادر بالتوبة الصادقة المستوفية لشروطها وكثرة الاستغفار كما قال الله عز وجل {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا} [التحريم: ٨].

ثم يعقد العزم الصادق والهمة العالية على تعمير رمضان بالأعمال الصالحة قال تعالى: {فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} [محمد: ٢١]

وقال سبحانه: {وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً} [التوبة: ٤٦].

ثم يحرص على تعلم ما لابد منه من فقه الصيام أحكامه وآدابه والعبادات المرتبطة برمضان من اعتكاف وعمرة وزكاة فِطر وغيرها(١).

ثم يحرص كل الحرص ألا تفوت منه ساعة في هذا الشهر إلا في طاعة، وعليه أن يستغل أوقاته في ما يرضي الله عز وجل حتى ينال الثواب والأجر العظيم، ويكتب إن شاء الله من المعتقين.

ومن الوسائل التي تعين على استغلال رمضان، ونيل الأجر والثواب إن شاء الله:

١-المحافظة على وجبة السحور:

فإن النبي ﷺ قال: "تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً"(٢)، وفي التسحر اتباع للسنة ومخالفة لأهل الكتاب والتعرض لأوقات إجابة الدعاء فيه وبه يتقوى الصائم على صيام النهار وتخفَّف به المشقة.

---

(١) وانظر دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ لشحاته صقر(١/ ٥٣٤).

(٢) أخرجه البخاري(١٩٢٣)، ومسلم(١٠٩٥)، عن أنس رضي الله عنه.

قال ابن دقيق العيد: " وَهَذِهِ الْبَرَكَةُ: يَجُوزُ أَنْ تَعُودَ إِلَى الْأُمُورِ الْأُخْرَوِيَّةِ. فَإِنَّ إِقَامَةَ السُّنَّةِ تُوجِبُ الْأَجْرَ وَزِيَادَتَهُ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَعُودَ إِلَى الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ، لِقُوَّةِ الْبَدَنِ عَلَى الصَّوْمِ، وَتَيْسِيرِهِ مِنْ غَيْرِ إِجْحَافٍ بِهِ"(١).

٢- المحافظة على صلاة الفجر والجلوس بعدها إلى طلوع الشمس:

عن أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ صَلَّى الغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ"، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ"(٢).

٣-الإكثار من أعمال البر سائر اليوم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ أَصْبَحَ مِنكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قَالَ: "فَمَنْ تَبِعَ مِنكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ " قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قَالَ: "فَمَنْ أَطْعَمَ مِنكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ " قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قَالَ: "فَمَنْ عَادَ مِنكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ " قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ".

ومن أعمال البر في رمضان العمرة، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حَجَّتِهِ قَالَ لِأُمِّ سِنَانٍ الأَنْصَارِيَّةِ: "مَا مَنَعَكِ مِنَ الحَجِّ؟ "، قَالَتْ: أَبُو فُلاَنٍ، تَعْنِي زَوْجَهَا، كَانَ لَهُ نَاضِحَانِ حَجَّ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَالآخَرُ يَسْقِي أَرْضًا لَنَا، قَالَ: "فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً أَوْ حَجَّةً مَعِي"(٣). أي تعدل ثواب حجة.

٤-الإكثار من قراءة القرآن وتدبره:

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد(٢/ ٩).

(٢) أخرجه الترمذي(٥٨٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٦٣٤٦).

(٣) أخرجه البخاري(١٨٦٣)، ومسلم(٢٢٢).

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ"(١).

وكان السَّلفُ رحمهم الله يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها، **فكان الأسود يقرأ** القرآن في كلِّ ليلتين في رمضان، **وكان النخعي** يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة وفي بقيّة الشهر في ثلاث.

وكان قتادة يختم في كلِّ سبع دائماً وفي رمضان في كلِّ ثلاث، وفي العشر الأواخر كلَّ ليلة.

وكان قتادة يدرس القرآن في شهر رمضان، **وكان سفيان الثوري** إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على تلاوة القرآن، والآثارُ عنهم في هذا المعنى كثيرة(٢).

٥-إفطار الصائمين:

فمن فطر صائمًا نال أجر الصيام مرتين كما في الحديث عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا"(٣).

قال الصنعاني: " وينبغي للصائم قبول ما يعطاه أن يفطر به إعانة لأخيه على الآخرة وإجابته إن دعاه للعشاء"(٤).

٦-الدعاء عند الإفطار:

---

(١) أخرجه الترمذي(٢٩١٠)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح(٢١٣٧).

(٢) وانظر لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٧١).

(٣) أخرجه الترمذي(٨٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٦٤١٥).

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير للأمير الصنعاني(١٠/ ٣٢٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ: دَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ "(١).

٧-المحافظة على صلاة التراويح:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"(٢).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ: "مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ"(٣).

ومعنى "**كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**" أَيْ حُصِّلَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ تَامَّةٍ يَعْنِي أَنَّ الْأَجْرَ حَاصِلٌ بِالْفَرْضِ وَزِيَادَةُ النَّوَافِلِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى قَدْرِ النَّشَاطِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا(٤).

احذر الفوات

لو نظرنا حولنا لوجدنا أن بعضاً ممن أدرك رمضان الماضي أصبح من أهل القبور، وربما البعض منا في هذا العام ممن يُقدر الله له أن يصوم رمضان كاملاً. فيقدر الله ألا يكون من أهل الدنيا بعده فيكون آخر رمضان يصومه ويقومه، ولو استشعر كل منا هذا الأمر واستعد للموت بعد رمضان أو في أثنائه وصام رمضان إيماناً واحتساباً وقامه أيضاً إيماناً واحتساباً لنال السعادة والفوز بالجنة، فرغم أنف ثم رغم أنف من أدرك رمضان ولم يغفر له.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٣٣٢٣)، والطبراني في الدعاء(١٣١٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٣٠٣٠).

(٢) أخرجه البخاري(٣٧)، ومسلم(١٧٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٨٠٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(١٦١٥).

(٤) تحفة الأحوذي للمباركفوري(٣/ ٤٣٨).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَقِيَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا؟ فَقَالَ: قَالَ: لِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَ عَبْدٍ، أَوْ بَعُدَ - دَخَلَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: آمِينَ، ثُمَّ، قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ، أَوْ بَعُدَ - أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ، أَوْ أَحَدَهُمَا لَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، ثُمَّ، قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ، أَوْ بَعُدَ - ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِينَ[1].

قد يحتج البعض بقوله نحن مرتبطون بأعمال ممن يستعان بها على المعيشة فلا ندري ماذا نصنع؟ فيقال لمثل هؤلاء استعن بالله عز وجل، وحاول أن تغتنم الفرص قدر المستطاع لك مع الدعاء بصدق أن يوفقك الله للعمل الصالح، فإن الله إذا رأى منك صدقًا جزاك على عملك القليل الأجر الكثير، والله جلَّ شأنه برٌ شكورٌ كريمٌ، وليعلم الواحد منا أن الوقت هو بمثابة الحياة، فمن لم يغتنم وقته ضاع عمره، ومن لم يغتنم مواسم الطاعات ويتحرى أوقاتها فلا شك أنه هو الخاسر المبين، فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

قال ابن القيم: " فَالْعَارِفُ ابْنُ وَقْتِهِ، فَإِنْ أَضَاعَهُ ضَاعَتْ عَلَيْهِ مَصَالِحُهُ كُلُّهَا، فَجَمِيعُ الْمَصَالِحِ إِنَّمَا تَنْشَأُ مِنَ الْوَقْتِ، وَإِنْ ضَيَّعَهُ لَمْ يَسْتَدْرِكْهُ أَبَدًا، **قَالَ الشَّافِعِيُّ**: " صَحِبْتُ الصُّوفِيَّةَ فَلَمْ أَسْتَفِدْ مِنْهُمْ سِوَى حَرْفَيْنِ: أَحَدُهُمَا قَوْلُهُمْ: الْوَقْتُ سَيْفٌ، فَإِنْ قَطَعْتَهُ وَإِلَّا قَطَعَكَ ".

وَذَكَرَ الْكَلِمَةَ الْأُخْرَى: " وَنَفْسُكَ إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا بِالْحَقِّ وَإِلَّا شَغَلَتْكَ بِالْبَاطِلِ ".

فَوَقْتُ الْإِنْسَانِ هُوَ عُمُرُهُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَهُوَ مَادَّةُ حَيَاتِهِ الْأَبَدِيَّةِ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَمَادَّةُ الْمَعِيشَةِ الضَّنْكِ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَهُوَ يَمُرُّ أَسْرَعَ مِنَ السَّحَابِ، فَمَا كَانَ مِنْ وَقْتِهِ لِلَّهِ

(١) أخرجه ابن خزيمة(١٨٨٨)، والبزار في مسنده(٨١١٦)، والبخاري في الأدب المفرد(٦٤٤)، وقال الألباني حسن صحيح وانظر صحيح الأدب المفرد (ص: ٢٤١).

وَبِاللَّهِ فَهُوَ حَيَاتُهُ وَعُمُرُهُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ لَيْسَ مَحْسُوبًا مِنْ حَيَاتِهِ، وَإِنْ عَاشَ فِيهِ عَاشَ عَيْشَ الْبَهَائِمِ، فَإِذَا قَطَعَ وَقْتَهُ فِي الْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ وَالْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ، وَكَانَ خَيْرَ مَا قَطَعَهُ بِهِ النَّوْمُ وَالْبِطَالَةُ، فَمَوْتُ هَذَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ فَهُوَ حَيَاتُهُ وَعُمُرُهُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ لَيْسَ مَحْسُوبًا مِنْ حَيَاتِهِ، وَإِنْ عَاشَ فِيهِ عَاشَ عَيْشَ الْبَهَائِمِ، فَإِذَا قَطَعَ وَقْتَهُ فِي الْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ وَالْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ، وَكَانَ خَيْرَ مَا قَطَعَهُ بِهِ النَّوْمُ وَالْبِطَالَةُ، فَمَوْتُ هَذَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ"[1].

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم(ص: ١٥٦).

رمضان شهر الانتصارات

عندما يذكر الانتصار في رمضان، يصرف الذهن مباشرة إلى الانتصارات العسكرية التي حققها المسلمون على أعدائهم في هذا الشهر، من بدر إلى فتح مكة إلى عين جالوت إلى حرب العاشر من رمضان وغيرها من الملاحم الإيمانية التي كتب الله فيها النصر المؤزر لعباده المؤمنين وهذا حق، ولكن مجالات الانتصار في رمضان بالنسبة للمؤمن غير مقتصرة على هذا الجانب فقط، بل إن الانتصارات التي تحققت وتتحقق على أعداء الأمة خلال شهر رمضان منذ بدء الرسالة، هي نتيجة للأجواء الإيمانية والتربية الروحية والسلوكية التي يتعلمها ويتدرب عليها المسلمون في مدرسة رمضان السنوية، مما يهيئ لهم أسباب النصر لينتصروا على أعدائهم، فإنها محصلة كذلك لتلك الانتصارات التي يحدثها وينجزها العبد المؤمن على مستواه الفردي والجماعي في شهر الصيام كما قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: ٧]. (١)

لذلك فإن مدرسة الصيام محطة مهمة ليجعل العبد المؤمن لنفسه فيها برنامجا عمليا لتحقيق الانتصارات بمفهومها الشامل، هذه الانتصارات التي تُعدُّ توطئة لانتصارات عظمى

ومن جملة هذه الانتصارات التي ينبغي للمسلم السعي في تحصيلها في شهر رمضان:

- الانتصار على الرياء

رمضان شهر الإخلاص بلا منازع، وقد توفرت كل عوامل النجاح للمؤمن فيه على كل دواعي الرياء وأسبابه، وتنمية عنصر المراقبة والتجرد لله عز وجل لديه، فامتناع

(١) جمال زواري أحمد/ موقع صيد الفوائد

الصائم عن الطعام والشراب والشهوات المادية والمعنوية طيلة يومه، استجابة لأمر ربه هو عين الإخلاص، **عن أبي هريرة** رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: ((يقول الله عز وجل: الصوم لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي)). (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: ((من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)) ((**من قام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه**)) ((**من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**)). (٢)

إن تحقيق هذا النوع من الانتصار هو الأساس الذي تنبني عليه كل الانتصارات الأخرى، فإن تربى العبد على الاستحضار الدائم لعامل المراقبة هذا، وذلك بعدم جعل الله أهون الناظرين إليه، وتجنب ما لا يرضيه من فعل أو قول أو خلق أو سلوك سرا أو علانية، فيكن بذلك قد تجاوز عتبة الانتصار الأول والمهم في مدرسة الصيام ليصحبه صحبة دائمة لازمة طيلة العام.

-الانتصار على الشيطان

ذلك أن وسيلة الشيطان لإغواء بني آدم هي الشهوات، وتقوى هذه الشهوات بالأكل والشرب، والصيام يضيِّق مجاري الدم، فتضيق مجاري الشيطان، فتسكن وساوسه ويُقهر بذلك. (٣) عن صفية بنت حيي، قالت: قال النبي ﷺ: ((إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم)). (٤)

---

(١) رواه البخاري (٧٤٩٢) ومسلم (١١٥١)

(٢) رواه البخاري (١٩٠١) في مواضع أخر ومسلم (٧٦٠) في مواضع أخر

(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٥٦) وروضة المحبين (ص: ٢١٩) بنحوه

(٤) رواه البخاري (٣٢٨١) ومسلم (٢١٧٥)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولا ريب أن الدم يتولد من الطعام والشراب، وإذا أكل أو شرب اتسعت مجاري الشياطين -الذي هو الدم- وإذا صام ضاقت مجاري الشياطين، فتنبعث القلوب إلى فعل الخيرات، وترك المنكرات. (١)

وقد هيأ الله سبحانه وتعالى ذلك للصائم، فصفده له ليسهل له وعليه هذا النوع من الانتصار، ولكي يقوي عناصر المناعة الإيمانية لديه، ويستحضر كل مسببات القوة اللازمة لينتصر في معركته مع شيطانه بشكل دائم أو غالب على الأقل، ورمضان فرصة مواتية لتكبت شيطانك وتغلبه وتصرعه بسهولة ويسر، لأنك إن فشلت في معركتك معه في شهر الصيام، فأنت فيما سواه من الشهور أفشل، تصور نفسك في حلبة تصارع خصما مكبل اليدين والرجلين وأنت حر طليق في كامل قوتك ولياقتك وعافيتك ونشاطك، فمن العيب والقصور والحرمان أن لا تنتصر عند ذلك.

فاعمل جاهدا واستغل الفرصة لتذوق طعم الانتصار على الشيطان، كي يغريك ذلك في الاستمرار في صرعه فيما سوى ذلك من الأوقات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين)). (٢)

قال ابن رجب: في شهر رمضان يلطف الله بأمة محمد فيغل فيه الشياطين ومردة الجن حتى لا يقدروا على ما كانوا يقدرون عليه في غيره من تسويل الذنوب ولهذا تقل المعاصي في شهر رمضان في الأمة. (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٤٦) بتصرف

(٢) رواه البخاري (١٨٩٩) ومسلم (١٠٧٩)

(٣) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٨١)

وقال أيضا: في هذا الشهر يؤخذ من إبليس بالثأر، وتستخلص العصاة من أسره فما يبقى لهم عنده آثار، كانوا فراخه قد غذاهم بالشهوات في أوكاره فهجروا اليوم تلك الأوكار، نقضوا معاقل حصونه بمعاول التوبة والاستغفار، خرجوا من سجنه إلى حصن التقوى والإيمان فأمنوا من عذاب النار، قصموا ظهره بكلمة التوحيد فهو يشكو ألم الانكسار، في كل موسم من مواسم الفضل يحزن ففي هذا الشهر يدعو بالويل لما يرى تنزل الرحمة ومغفرة الأوزار، غلب حزب الرحمن حزب الشياطين فما بقي له سلطان إلا على الكفار، عزل سلطان الهوى وصارت الدولة لسلطان التقوى: {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ}. (١)

- الانتصار على الشهوات

رمضان تمرين عملي للصائم على التغلب على شهواته المختلفة من شهوة البطن والفرج والنظر والسمع والكلام والقلب والنفس وغيرها، بحيث يتحرر من أسرها له، ويتعالى على جواذبها التي تجذبه إلى مستنقعها الآسن، ويخلص نفسه من كل دواعي الاستجابة لإغراءاتها.

قال ابن القيم: الصَّوْم عبَادَة تكف النَّفس عَن شهواتها وتخرجها عَن شَبَه الْبَهَائِم إِلَى شبه الْمَلاَئِكَة المقربين فَإِن النَّفس إِذا خليت ودواعي شهواتها التحقت بعالم الْبَهَائِم فَإِذا كفت شهواتها لله ضيقت مجاري الشَّيْطَان وَصَارَت قريبَة من الله بترك عَادَتهَا وشهواتها محبَّة لَهُ وإيثارا لمرضاته وتقربا إِلَيْهِ، **عن أبي هريرة** رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: ((يقول الله عز وجل: يدع شهوته وطعامه من أجلي)). (٢)

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٨٣)

(٢) رواه البخاري (٧٤٩٢) ومسلم (١١٥١)

فيدع الصَّائِم أحب الْأَشْيَاء إِلَيْهِ وَأَعْظَمهَا لصوقا بِنَفسِهِ من الطَّعَام وَالشرَاب وَالْجِمَاع من أجل ربه، . . . فَمَا اسْتَعَانَ أحد على تقوى الله وَحفظ حُدُوده وَاجْتنَاب محَارمه بِمثل الصَّوْم. (١)

إن الانتصار في معركة الشهوات قضية مصيرية بالنسبة للمؤمن، لأنه إن انهزم فيها وفشل في مقاومتها وسلم العنان والخطام لها، أدى به ذلك. دون شك. إلى الانهزام في كل معاركه الأخرى، فالشهوات حواجز تحجز عنه موارد التوفيق، وصوارف تصرفه عن النجاح في أمر آخرته الذي هو رأس الأمر له.

وما انتصر أسلافنا على أعدائهم إلا بعد ما انتصروا في معركة الشهوات هذه، وما انهزموا وانكسرت شوكتهم إلا لما استسلموا لشهواتهم وانهزموا أمامها، وما خسارتنا للأندلس السليب إلا خير دليل على ذلك.

قال ابن رجب: لما علم المؤمن الصائم أن رضا مولاه في ترك شهواته قدم رضا مولاه على هواه فصارت لذته في ترك شهواته لله لإيمانه باطلاع الله وثوابه أعظم من لذته في تناولها في الخلوة إيثارا لرضا ربه على هوى نفسه.

قال بعض السلف: طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره.

سئل ذو النون المصري: متى أحب ربي؟ قال: إذا كان ما يكرهه أَمَرّ عندك من الصبر.(٢)

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٣)

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٥٣)

ومن أعظم العبادات التي تعين المسلم على الانتصار على شهواته عبادة الصيام، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال لنا رسول الله ﷺ: ((**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**)). (١)

قال الحافظ ابن حجر: مقتضاه أن الصوم قامع لشهوة النكاح واستشكل بأن الصوم يزيد في تهييج الحرارة وذلك مما يثير الشهوة لكن ذلك إنما يقع في مبدأ الأمر فإذا تمادى عليه واعتاده سكن ذلك والله أعلم. (٢)

قال الحليمي: الصوم يقمع الشهوة فيسهل الكف عن الحرام. (٣)

- الانتصار على الشح والبخل

إن التخلص من داء الشح والبخل، وتطهير النفس منهما، والذي عدّه رسول الله ﷺ من المهلكات، والمتسبب في كثير من الموبقات، **عن جابر بن عبد الله**، أن رسول الله ﷺ، قال: ((اتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)). (٤)

وعن عبد الله بن عمرو، قال: خطب رسول الله ﷺ، فقال: ((إياكم والشح، فإنما

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٥) ومسلم (١٤٠٠)

(٢) فتح الباري لابن حجر (٤/ ١١٩)

(٣) فيض القدير للهروي (٤/ ٢٥١)

(٤) رواه مسلم (٢٥٧٨)

هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا)). (١)

فالتخلص من الشح من مقاصد الصيام المهمة، لذلك كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة. (٢)

فليتأس المؤمن به ﷺ، ويعلنها حربا لا هوادة فيها على كل ما له علاقة بالشح والبخل، فالفلاح الذي هو غايته ومبتغاه في الدنيا والآخرة، لا يمكن أن يحوزه إلا إذا نجح في معركته مع الشح، كما قال تعالى: { وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [التغابن: ١٦]

فالصيام مدرسة يتعود فيها العبد على السخاء، وإطلاق اليد بالعطاء، ويتعمق لديه فيها الشعور بمعاناة المحرومين. **سئل بعض السلف**: لمَ شُرع الصيام؟ قال: ليذوق الغني طعم الجوع فلا ينسى الجائع. (٣)

- الانتصار على اللسان وآفاته

عندما نسمع أو نقرأ حديث النبي ﷺ: ((من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)). (٤)

---

(١) رواه أبو داود (١٦٩٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٢١)

(٢) رواه البخاري (٦) ومسلم (٢٣٠٨) من حديث ابن عباس

(٣) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٦٨)

(٤) رواه البخاري (١٩٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

وكذلك قوله ﷺ: ((إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل إني امرؤ صائم)). (١)

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال: رسول الله ﷺ: ((ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث)). (٢)

ندرك أهمية هذا النوع من الانتصار في شهر رمضان، فمن لم يستطع أن ينتصر في معركته مع لسانه- خاصة وهو صائم - لا يمكنه أن ينتصر في معركته مع شيطانه وشهواته، بل إن الانهزام أمام اللسان وآفاته يؤدي بصاحبه إلى الإفلاس **عن أبي هريرة** رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: ((أتدرون ما المفلس؟)) قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: ((إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار)). (٣)

قال ابن القيم: إن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله. (٤)

قال بعض السلف: أهون الصيام ترك الشراب والطعام. (١)

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) رواه ابن خزيمة (١٩٩٦) وابن حبان (٣٤٧٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع(٢/ ٩٤٨)

(٣) رواه مسلم (٢٥٨١)

(٤) الداء والدواء (ص: ١٦١)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يستقيمُ إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبُهُ، ولا يستقيمُ قلبُهُ حتى يستقيمَ لسانُهُ)). (٢)

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: ((أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك)). (٣)

فالانتصار على اللسان وآفاته من عدمه، معيار مهم يعرف من خلاله المؤمن الصائم مدى توفيقه ونجاحه في مدرسة رمضان، وحصوله على كنوزه ومنحه ونفحاته وجوائزه التي لا تعد ولا تحصى.

- الانتصار على الكسل والسلبية واللامبالاة

الصيام ميدان رحب لتحقيق كل مظاهر الجدية والإيجابية لدى المؤمن، من خلال مضاعفة أجر الطاعات، وفتح أبوابها على مصراعيها، وترغيبه فيها من الله، بأن صفد له الشياطين، وأكرمه بجملة من النفحات، رحمة ومغفرة وعتق من النار وفرحتان وباب الريان وخلوف فمه كريح المسك وغيرها، **عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا كان أول ليلة من شهر رمضان. . . وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، و يا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة)). (٤)

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٥٥)

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٩٨) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٨٢٢)

(٣) رواه أحمد (٤/ ١٥٨) و الترمذي (٢٤٠٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٩٥)

(٤) رواه الترمذي (٦٨٢) وابن ماجه (١٦٤٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع(١/ ١٩٣)

وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ، عن النبي ﷺ أنه ذكر رمضان فقال: ((تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار، وتصفد فيه الشياطين، وينادي فيه مناد كل ليلة: يا باغي الخير هلم، و يا باغي الشر أقصر، حتى ينقضي رمضان)). (١)

فالصيام ينمي روح الإيجابية والفعالية والشعور بالمسؤولية، فيتعلم فيه الفرد فن الانتصار على السلبية واللا مبالاة وتبلد الشعور بالتبعة والتفريط في القيام بالواجب، ويحدث ببركات الصيام وفضله وأجوائه، نقلات نوعية في الانتقال بنفسه إلى مراتب العاملين العابدين المتحركين النشطين، فيستشعر طعم الإيجابية ويتعود ويتدرب عليها، فيصاحبه ذلك حتى بعد رمضان.

- أكثر من الاستعادة من العجز والكسل، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كنت أخدم رسول الله ﷺ، فكنت أسمعه كثيرا يقول: ((اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل)). (٢)

- الانتصار على أمراض القلوب

بما أن القلب السليم هو العملة الرابحة التي تنفع صاحبها يوم القيامة وتنقذه من عذاب الله، كما قال تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٨، ٨٩] وبما أن القلب الأسود المظلم بأمراض الأحقاد والبغضاء والكراهية والحسد والكبر والاستعلاء على الناس وغيرها حاجز لرحمة الله حائل دون توفيقه مانع لمعيته الخاصة للعبد، فإن شهر الصيام فرصة ذهبية للتخلص منها والانتصار عليها، لأن وسائل التنظيف والتطهير للقلب متوفرة بكثرة، والمحفزات المساعدة على ذلك ميسرة إلا من أبى.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٤١١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٦٠)

(٢) رواه البخاري (٢٨٩٣) ومسلم (٢٧٢٢)

قال ابن القيم: للصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى، كما قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: **١٨٣**]. (١)

- الانتصار على سوء الخلق

فرمضان مدرسة الأخلاق الفاضلة كذلك، فيه يتعلم الصائم ويتدرب ويمارس كل أنواع الخلق الحسن، التي رغب فيها الإسلام وحث عليها، وقد يجد بعض الممارسات والأفعال من الناس لتختبر فيه مدى تمسكه بحسن الخلق، سواء مع جيرانه أو أهل بيته أو زملائه في العمل أو معامليه في الأسواق، لذلك جاء التوجيه النبوي: ((الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل إني امرؤ صائم)). (٢)

وقال جابر بن عبد الله في نصيحة غالية للصائمين: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذى الجار وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء. (٣)

فمن أعظم الغايات التي فرض الله علينا الصيام من أجلها لنتدرب فيه عمليا على حسن الخلق، الذي هو الدين، وعليه مدار سعادة العبد وفلاحه في الدنيا والآخرة، **قال ابن القيم**: الدين كله خلق. فمن زاد عليك في الخلق: زاد عليك في الدين. (١)

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٨)

(٢) رواه البخاري (**١٩٠٤**) ومسلم (**١١٥١**) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٣) لطائف المعارف لابن رجب (ص: **١٥٥**)

وقال أيضا: أدب المرء: عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه: عنوان شقاوته وبواره.

فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانهما بمثل قلة الأدب. (٢)

لذلك فإن الانتصار على السيء من الأخلاق، وعلى العادات السيئة كذلك التي يكون العبد قد تعودها قبل رمضان، من الغايات العظمى التي ينبغي أن يجعلها المؤمن على سلم أولوياته في هذا الشهر.

-الانتصار على الصحبة السيئة

أقبل رمضان شهر الهداية والغفران. . . . . وآن الأوان لمن التفَّ حوله قرناء السوء وشياطين الإنس طوال العام وحالوا بينه وبين طاعة ربه وأوقعوه في كل رذيلة، وحرموه من كل فضيلة، أن يفرَّ إلى ربه ويلجأ إلى الحصن الحصين والركن القوي المتين، فالفرصة سانحة والجو مناسب والنفوس مهيأة وأيدي المؤمنين تمتد لتنتشل التائبين وألسنتهم تلهج بالدعاء أن يهدي الله قلوبهم. . . . وداعي رب العالمين يهتف: (**يا باغي الخير أقبل**) فاستجب لداعي ربك ولا تتأخر ولا تلتفت إلى أصحاب السوء فإنهم إن لم يعقوك عن سيرك إلى الله يوقفوك ويعطلوك { فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ } [الذاريات: ٥٠]

وتذكر دائما قول الله تعالى: { الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ } [الزخرف: ٦٧]، وقوله تعالى: { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٤)

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٦٨)

الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولًا } [الفرقان: ٢٧ - ٢٩]

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)). (١)

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٣٤) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٥٩٨)

أعمال العشر وتحري ليلة القدر

فضل العشر الأواخر من رمضان سُنة الاعتكاف ليلة القدر فضلها وعلاماتها

لقد قرب رحيل شهر رمضان عنا، فمن قضى أيامه الماضية وعمَّرها بالأعمال الصالحات فليحمد الله عز وجل أن وفقه لذلك، وليبشر بحسن الثواب والأجر الجزيل من الله، ومن ضيَّع تلك الأيام، ولم يغتنمها فليسارع بالتوبة وطلب المغفرة من الله، فالله عز وجل غفورٌ توابٌ يتوب سبحانه على من تاب، وليغتنم ما بقي منها فإن الله جلَّ شأنه شرع لنا في تلك الأيام عبادات تزيد العبد قربًا من ربه، وتزيد إيمانه قوة، وتضاعف الحسنات في سجلاته، فهذه الأيام العشر فرصة لمن أحسن فيها أن يزداد، وفرصة أيضًا لمن قصر أن يبادر بالتوبة، وهذا من كرم الله عز وجل وفضله على عباده، والأعمال بالخواتيم كما ذُكر عن النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه حيث قال: " **وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا** "(١).

فضل العشر الأواخر من رمضان:

لقد جاءت نصوص كثيرة فيها الحديث عن فضل العشر الأواخر من رمضان، فمن فضائله أنها حوت خير الليالي التي أنزل فيها خير كتاب نزل على خير نبي، وكفى بذلك شرفًا وفضلاً أن النبي ﷺ كان يخلِطُ في غير تلك العشر بين نوم وقيام، لكن إذا دخلت العشر شمَّر عن ساعِد الجدِّ وشدَّ المئزر وأيقظ الأهل وأحيا الليل، كما هو مُدَونٌ في كتب السنة، قالت عَائِشَةُ رضي الله عنها: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ،

(١) أخرجه البخاري(٦٤٩٣) واللفظ له، ومسلم(٦٨٣٣). عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه.

وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ "(١).

وقولها رضي الله عنها: " **إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ** "، أي: العشر الأواخر من رمضان، " **أَحْيَا اللَّيْلَ** "، أي: استغرقه بالسهر في الصلاة، فأحياه بِالطَّاعَةِ واحيى نَفْسَهُ بِسَهَرِهِ فِيهِ لِأَنَّ النَّوْمَ أَخُو الْمَوْتِ وَأَضَافَهُ إِلَى اللَّيْلِ اتِّسَاعًا لِأَنَّ الْقَائِمَ إِذَا حييّ باليقظة احيى لَيْلَهُ بِحَيَاتِهِ وَهُوَ نَحْوُ قَوْلِهِ لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا أَيْ لَا تَنَامُوا فتَكُونُوا كَالْأَمْوَاتِ فتَكُونَ بُيُوتُكُمْ كَالْقُبُورِ، "**وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ**"، أي أيقظهم للصلاة في الليل، وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ مِنْ حَدِيثِ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَقِيَ مِنْ رَمَضَانَ عَشْرَةُ أَيَّامٍ يَدَعُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ يُطِيقُ الْقِيَامَ إِلَّا أَقَامَهُ(٢).

قال ابن بطال: "من الفقه أن للرجل أن يحض أهله على عمل النوافل، ويأمرهم بغير الفرائض من أعمال البر، ويحملهم عليها"(٣).

فكل امرئ حريص على إصلاح أهله وبيته، لابد له أن يحثهم على اغتنام تلك الأيام بالطاعات، وهذا من أسباب التعاون على البر والتقوى، وأهلُ الرجل هم أولى الناس بالنصح والإصلاح لأنه عنهم مسئول، كما قال النبي ﷺ: "أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ "(٤).

---

(١) أخرجه مسلم(١١٧٤).

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢٦٩)، ومختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر لمحمد بن نصر المروزي(ص: ٢٤٧).

(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٤/ ١٥٩).

(٤) أخرجه مسلم(٤٨٢٨).

ومعنى: " **وَجَدَّ** "، أي: جدَّ في العبادة زيادة على العادة، " **وَشَدَّ الْمِئْزَرَ**"، اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَى شَدَّ الْمِئْزَرَ فَقِيلَ هُوَ الِاجْتِهَادُ فِي الْعِبَادَاتِ زِيَادَةً عَلَى عَادَتِهِ ﷺ فِي غَيْرِهِ، وَمَعْنَاهُ التَّشْمِيرُ فِي الْعِبَادَاتِ يُقَالُ شَدَدْتُ لِهَذَا الْأَمْرِ مِئْزَرِي أَيْ تَشَمَّرْتُ لَهُ وَتَفَرَّغْتُ وَقِيلَ هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ اعْتِزَالِ النِّسَاءِ لِلِاشْتِغَالِ بِالْعِبَادَاتِ.

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يُزَادَ مِنَ الْعِبَادَاتِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَاسْتِحْبَابُ إِحْيَاءِ لَيَالِيهِ بِالْعِبَادَاتِ(١).

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ": كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ"(٢).

وعلى طريق الجدِّ والاجتهاد سار سلفنا، فكانوا سباقين إلي الخيرات، فهذا سفيان الثوري كان يقول: "أحب إلي إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجدَ بالليل و يجتهد فيه و يُنهِضَ أهله، وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك "(٣).

وعن ليل الصالحين وقيامهم حدِّث، **قال ابن المبارك:**

إِذَا مَا اللَّيلُ أظلَمَ كَابَدُوه ... فيسفرُ عنهمُ وهمُ ركوعُ

أطَارَ الخَوفُ نومَهُم فَقَامُوا ... وَأهلُ الأمنِ فِي الدُنَيا هُجُوعُ

لَهُم تَحتَ الظَّلامِ وَهُمْ سُجُودٌ ... أنِينٌ مِنهُ تَنفَرجُ الضُّلُوعُ

وَخُرسٌ بالنَّهارِ لِطُولِ صمتٍ ... عليهِم منْ سكينتهمْ خشوعُ(١).

---

(١) شرح النووي على مسلم (٨/ ٧٠)، فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢٦٩).

(٢) أخرجه مسلم(٢٨٤٥).

(٣) لطائف المعارف لابن رجب(ص: ٢٠٧).

وفي الأيام العشر الأواخر من رمضان تشرع طائفة من العبادات، كالاعتكاف وتحري ليلة القدر، والإكثار من تلاوة القرآن، والاجتهاد في القيام، والإكثار من الإنفاق في سبيل الله.

فأما الإكثار من تلاوة القرآن ففيه كبير ثواب، وقد أخبر النبي ﷺ أن قراءة حرف من كتاب الله يعدل عشر حسنات والله يضاعف لمن يشاء، كما أن قارئ القرآن ينال الشفاعة به وبالصيام كما في الحديث، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ"(٢).

وأما الإكثار من الإنفاق في سبيل الله، فقد كان ﷺ أجود الناس، كما أخبر بذلك ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ(٣). ولنا في نبينا ﷺ أسوة كما أخبر بذلك سبحانه بقوله: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: ٢١]

سُنة الاعتكاف:

والاعتكاف لغة: اللبث وملازمة الشيء أو الدوام عليه خيراً كان أو شراً.

ومنه قوله تعالى: { {يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ} [الأعراف: ١٣٨]

---

(١) ديوان عبد الله بن المبارك (ص: ١٤).

(٢) أخرجه أحمد(٦٦٢٦)، وصححه الألباني في الجامع الصغير(٧٣٢٩).

(٣) أخرجه البخاري(٦).

وقوله سبحانه: {وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ} [البقرة: ١٨٧]

والاعتكاف شرعًا: اللبث والمكث في المسجد للعبادة، بنية مخصوصة، على كيفية مخصوصة(١).

واتفق أهل العلم على أن الاعتكاف مشروع وأنه قربة(٢).

وقال ابن المنذر: "وأجمعوا على أن الاعتكاف لا يجب على الناس فرضًا إلا أن يوجبه المرء على نفسه، فيجب عليه"(٣). ومعنى "إلا أن يوجبه على نفسه" أي: بالنذر.

والحِكْمَةُ من تشريع الِاعْتِكَافِ: أن فِيهِ تَسْلِيمُ الْمُعْتَكِفِ نَفْسَهُ بِالْكُلِّيَّةِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى طَلَبَ الزُّلْفَى، وَإِبْعَادَ النَّفْسِ مِنْ شُغْل الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ مَانِعَةٌ عَمَّا يَطْلُبُهُ الْعَبْدُ مِنَ الْقُرْبَى، وَفِيهِ اسْتِغْرَاقُ الْمُعْتَكِفِ أَوْقَاتَهُ فِي الصَّلاَةِ إِمَّا حَقِيقَةً أَوْ حُكْمًا، لأَنَّ الْمَقْصِدَ الأَصْلِيَّ مِنْ شَرْعِيَّةِ الِاعْتِكَافِ انْتِظَارُ الصَّلاَةِ فِي الْجَمَاعَاتِ، وَتَشْبِيهُ الْمُعْتَكِفِ نَفْسَهُ بِالْمَلاَئِكَةِ الَّذِينَ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، وَيُسَبِّحُونَ اللَّيْل وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ(٤).

وقال ابن القيم: " شُرع لهم الاعتكاف الذى مقصودُه وروحُه عكوفُ القلبِ على الله تعالى، وجمعيَّتُه عليه، والخلوةُ به، والانقطاعُ عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذِكره وحبه، والإقبالُ عليه فى محل هموم القلب وخطراته، فيستولى عليه بدلهَا، ويصير الهمُّ كُلُّه به، والخطراتُ كلُّها بذكره، والتفكُر فى تحصيل مراضيه وما

(١) وانظر الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي(٣/ ١٢١). ورسالة في الفقه الميسر لصالح غانم(ص: ٦٦).
(٢) اختلاف الأئمة العلماء لابن هبيرة(١/ ٢٥٩).
(٣) الإجماع لابن المنذر (ص: ٥٠).
(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية(٥/ ٢٠٧).

يُقرِّب منه، فيصيرُ أُنسه بالله بدَلاً عن أُنسه بالخلق، فيعده بذلك لأُنسه به يوم الوَحشة فى القبور حين لا أنيس له، ولا ما يفرحُ به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم"(١).

من لم يتيسر له الاعتكاف كاملً سائر ليالي العشر، فلا يحرم نفسه من الاعتكاف ولو جزئي في يوم أم ليلة، وليحرص على القيام والتراويح، وليغتنم الأوقات في هذه الليالي بأي عمل من أعمال البر وهي كثيرة ولله الحمد.

ليلة القدر فضلها وعلاماتها:

ليلة القدر من أعظم الليالي على الإطلاق، جاء في فضلها آيات وأحاديث كثيرة، عن أبي هريرةرضي الله عنه، قال: لمّا حَضر رمضانُ قالَ رسولُ الله ﷺ: "قد جاءكمَ رمضان، شهرٌ مباركٌ، افترض الله عليكم صيامه، تُفتح فيه أبواب الجنة، ويغلق فيه أبوابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ"(٢).

وقوله ﷺ: " فَقَدْ حُرِمَ. . . "، أي منع الخير كله كما سيجيئ صريحاً ففيه مبالغة عظيمة. والمراد حرمان الثواب الكامل أو الغفران الشامل الذي يفوز به القائم في أحياء ليلها. **قال الطيبي:** اتحد الشرط والجزاء دلالة على فخامة الجزاء، أي حرم خيراً كثيراً، لا يقادر قدره(٣). وقد أخفى الله عز وجل هذه الليلة في العشر الأواخر لما له سبحانه من الحكم، ليعظم الاجتهاد في تحريها ويكثر العمل بالطاعات، والإكثار من الثواب فيها،

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم(٢/ ٨٧).

(٢) أخرجه أحمد(٧١٤٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٥).

(٣) انظر شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٥/ ١٥٧٦)، ومشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح (٦/ ٨٢٢).

قال الفخر الرازي: " أَخْفَى اللهُ تَعَالَى هَذِهِ اللَّيْلَةَ لِوُجُوهٍ **أَحَدُهَا:** أَنَّهُ تَعَالَى أَخْفَاهَا، كَمَا أَخْفَى سَائِرَ الْأَشْيَاءِ، فَإِنَّهُ أَخْفَى رِضَاهُ فِي الطَّاعَاتِ، حَتَّى يَرْغَبُوا فِي الْكُلِّ، وَأَخْفَى غَضَبَهُ فِي الْمَعَاصِي لِيَحْتَرِزُوا عَنِ الْكُلِّ، وَأَخْفَى وَلِيَّهُ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى يُعَظِّمُوا الْكُلَّ، وَأَخْفَى الْإِجَابَةَ فِي الدُّعَاءِ لِيُبَالِغُوا فِي كُلِّ الدَّعَوَاتِ، وَأَخْفَى الِاسْمَ الْأَعْظَمَ لِيُعَظِّمُوا كُلَّ الْأَسْمَاءِ، وَأَخْفَى قَبُولَ التَّوْبَةِ لِيُوَاظِبَ الْمُكَلَّفُ عَلَى جَمِيعِ أَقْسَامِ التَّوْبَةِ، وَأَخْفَى وَقْتَ الْمَوْتِ لِيَخَافَ الْمُكَلَّفُ، فَكَذَا أَخْفَى هَذِهِ اللَّيْلَةَ لِيُعَظِّمُوا جَمِيعَ لَيَالِي رَمَضَانَ.

وَثَانِيهَا: كَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: لَوْ عَيَّنْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَأَنَا عَالِمٌ بِتَجَاسُرِكُمْ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، فَرُبَّمَا دَعَتْكَ الشَّهْوَةُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَى الْمَعْصِيَةِ، فَوَقَعْتَ فِي الذَّنْبِ، فَكَانَتْ مَعْصِيَتُكَ مَعَ عِلْمِكَ أَشَدَّ مِنْ مَعْصِيَتِكَ لَا مَعَ عِلْمِكَ، فَلِهَذَا السَّبَبِ أَخْفَيْتُهَا عَلَيْكَ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: إِذَا عَلِمْتَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فَإِنْ أَطَعْتَ فِيهَا اكْتَسَبْتَ ثواب ألف شهر، وإن عصيت فيها اكتسب عِقَابَ أَلْفِ شَهْرٍ، وَدَفْعُ الْعِقَابِ أَوْلَى مِنْ جَلْبِ الثَّوَابِ.

وَثَالِثُهَا: أَنِّي أَخْفَيْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ حَتَّى يَجْتَهِدَ الْمُكَلَّفُ فِي طَلَبِهَا، فَيَكْتَسِبَ ثَوَابَ الِاجْتِهَادِ. **وَرَابِعُهَا:** أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَمْ يَتَيَقَّنْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، فَإِنَّهُ يَجْتَهِدُ فِي الطَّاعَةِ فِي جميع ليالي رَمَضَانَ، عَلَى رَجَاءِ أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةُ هِيَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، فَيُبَاهِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ مَلَائِكَتَهُ، وَيَقُولُ: كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِيهِمْ يُفْسِدُونَ وَيَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ فَهَذَا جِدُّهُ وَاجْتِهَادُهُ فِي اللَّيْلَةِ الْمَظْنُونَةِ، فَكَيْفَ لَوْ جَعَلْتُهَا مَعْلُومَةً لَهُ! فَحِينَئِذٍ يَظْهَرُ سِرُّ قَوْلِهِ تعالى: { إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [الْبَقَرَةِ: ٣٠] (١).

وقد خص الله عز وجل هذه الليلة بعدة خصائص منها:

١-أنزل الله فيها القرآن جملة واحدة:

---

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي(٣٢/ ٢٢٩).

قال ابن عباس وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ(١).

٢-وصفها ربنا بأنها خيرٌ من ألف شهر:

فقال سبحانه: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ} [القدر: ٣]، ووصفها بأنها مباركة، فقال سبحانه: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ} [الدخان: ٣]

٣-ذكر ربنا تبارك وتعالى أن الملائكة تتنزل بكثرة في هذه الليلة:

قال تعالى: {تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر} أي: يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيما له. وأما الروح فقيل: المراد به هاهنا جبريل عليه السلام فيكون من باب عطف الخاص على العام. وقيل: هم ضرب من الملائكة(٢).

٤-وصفها ربنا بأنها سلامٌ:

فقال تعالى: { سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر: ٥] **قال ابن كثير**: هي سالمة، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا أو يعمل فيها أذى(٣).

٥-أن الله يغفر لمن قامها إيمانًا واحتسابًا ما تقدم من ذنبه:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ

(١) تفسير ابن كثير(٨/ ٤٤١).

(٢) تفسير ابن كثير(٨/ ٤٤٤).

(٣) تفسير ابن كثير(٨/ ٤٤٤).

مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"(١).

قوله: "**إيمانًا**"، يريد تصديقًا بفرضه وبالثواب من الله تعالى، على صيامه وقيامه، وقوله: "**احتسابًا**"، يريد بذلك يحتسب الثواب على الله، وينوى بصيامه وجه الله، وهذا الحديث دليل بين أن الأعمال الصالحة لا تزكو ولا تتقبل إلا مع الاحتساب وصدق النيات(٢).

كيف نتحرى ليلة القدر؟

قد حثَّ النبي ﷺ أمته في تحريها في العشر الأواخر من رمضان، وحثهم على طلبها، وإصابة فضلها بالعبادة والطاعة.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ(٣).

وعن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ فَإِنْ ضَعُفَ أَحَدُكُمْ أَوْ عَجَزَ فَلاَ يُغْلَبَنَّ عَلَى السَّبْعِ الْبَوَاقِي(٤).

قوله ﷺ: "**الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ**"، سميت ليلة القدر بما تقدر فيها من الأقدار، وما يكون فى تلك السنة من الأرزاق والآجال بقوله تعالى: {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ}، ولقوله: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}، ومعنى ذلك – والله أعلم – إظهار ما قدره الله فى أزله من ذلك لحملة وحيه وملائكة سماواته، ونفوذ أمره بذلك لهم ووحيه، أو إظهار ما شاء من أفعاله الدالة على ذلك عندهم، وإلا

---

(١) أخرجه البخاري(١٩٠١).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٢١).

(٣) أخرجه البخاري(٢٠١٧)، ومسلم(٢٨٣٣).

(٤) أخرجه البخاري(٢٠١٦)، مسلم(٢٨٢٩) وهذا لفظ مسلم.

فقدر الله وسابق علمه بالآجال والأرزاق وقضاؤه بما كان ويكون لا أول له. وقيل: سماها بليلة القدر، أي ذات القدر العظيم، والمحِل الشريف كما قال: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ}، وكما قال: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ} فسماها بهذا لنزول القرآن جملة فيها إلى سماء

الدنيا وثبات خيرها ودوامُهُ، وهو يعنى البركة[١].

قوله ﷺ: " **فَإِنْ ضَعُفَ أَحَدُكُمْ أَوْ عَجَزَ فَلاَ يُغْلَبَنَّ عَلَى السَّبْعِ الْبَوَاقِي**"، ذكر النبي ﷺ في بعض الأحاديث ما يدل على شدة تحري ليلة القدر فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلًا عَلِمَ أَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فَأَخْبَرَ بِهِ، ثُمَّ أُعْلِمَ أَنَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ فَأَخْبَرَ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَيُحْتَمَلُ مَا قَدَّمْنَا أَوَّلًا أَنَّهُ حَضَّ عَلَى الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مَنْ لَهُ بَعْضُ الْقُوَّةِ وَحَضَّ عَلَى السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى قِيَامِ جَمِيعِ الْعَشْرِ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ[٢].

أي الليالي تكون ليلة القدر؟

اختلف العلّماء في ليلة القدر وفي تعينها وفي ميقات رجائها على أقوال عدة:

والصّحيح منها: أنها لا تُعْلَمُ، لكن النّبيّ ﷺ قد حَضَّ على رمضان، وحَضَّ بالتَّخْصِيصِ العشر الأواخر، وكان رسولُ الله ﷺ يُحْيي فيها لَيْلَهُ ويُوقظ أهلَهُ ويشدّ مئزره، وصدَقَ رسولُ الله ﷺ أنّها في العَشرِ الأَوَاخِرِ.

وفي الحديث دَلِيلٌ على أنّها متنقِّلَةٌ غير مخصوصة بليلةٍ[٣].

وقال القاضي عبد الوهّاب المالكي: "ليلة القدر في العشر الأواخر، وليس فيها تعيين

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض(٤/ ١٤٢).

(٢) المنتقى شرح الموطأ لأبي الوليد الباجي(٢/ ٨٨).

(٣) المسالك في شرح موطأ مالك (٤/ ٢٦٧).

ثابت. خلافاً لمن عين، لقوله ﷺ: (التمسوها في العشر الأواخر)، وروي: (من كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر)، وهذا ينفي التعيين.

وهي باقية غير مرتفعة بموت النبي ﷺ خلافاً لمن قال إنها زائلة، لقوله: (التمسوها في العشر الأواخر)، فعمَّ كل وقت، ولأنها من شعائر الإسلام كسائر الشعائر"[١].

علامات ليلة القدر:

١-تطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها:

لقول رسول الله ﷺ "وَأَمَارَتُهَا أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بَيْضَاءَ لَا شُعَاعَ لَهَا"[٢].

٢-يطلع القمر فيها مثل شق الجفنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: تَذَاكَرْنَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: "أَيُّكُمْ يَذْكُرُ حِينَ طَلَعَ الْقَمَرُ، وَهُوَ مِثْلُ شِقِّ جَفْنَةٍ؟ "[٣].

٣-تكون ليلة معتدلة لا حارة ولا باردة:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: "إِنِّي كُنْتُ أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، ثُمَّ نُسِّيتُهَا وَهِيَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ لَيْلَتِهَا، وَهِيَ لَيْلَةٌ طَلْقَةٌ، بَلْجَةٌ، لَا حَارَّةٌ، وَلَا بَارِدَةٌ"[٤].

٤-لا يرمى فيها بنجم:

---

(١) الإشراف على نكت مسائل الخلاف لعبد الوهّاب المالكي (١/ ٤٥١).

(٢) أخرجه مسلم(١٧٩)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم(٢٢٢).

(٤) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه(٢١٩٠)، والطيالسي في مسنده(٢٨٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٥٤٧٥).

عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "لَيْلَةُ الْقَدْرِ بَلَجَةٌ لَا حَارَّةٌ وَلَا بَارِدَةٌ، وَلَا سَحَابٌ فِيهَا وَلَا مَطَرٌ وَلَا رِيحٌ، وَلَا يُرْمَى فِيهَا بِنَجْمٍ"(١).

وَقَدْ رُوِيَ فِي عَلَامَاتِهَا: {أَنَّهَا لَيْلَةٌ بلجة مُنِيرَةٌ} وَهِيَ سَاكِنَةٌ لَا قَوِيَّةُ الْحَرِّ وَلَا قَوِيَّةُ الْبَرْدِ وَقَدْ يَكْشِفُهَا اللَّهُ لِبَعْضِ النَّاسِ فِي الْمَنَامِ أَوْ الْيَقَظَةِ. فَيَرَى أَنْوَارَهَا أَوْ يَرَى مَنْ يَقُولُ لَهُ هَذِهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ وَقَدْ يُفْتَحُ عَلَى قَلْبِهِ مِنْ الْمُشَاهَدَةِ مَا يَتَبَيَّنُ بِهِ الْأَمْرُ. وَاَللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ(٢).

وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ رَأَى لَيْلَةَ الْقَدْرِ أَنْ يَكْتُمَهَا، ويدعو بإخلاص نية وصحة يقين بما أوجب مِنْ دِينٍ وَدُنْيَا، وَيَكُونُ أَكْثَرُ دُعَائِهِ لِدِينِهِ، وَآخِرَتِهِ فَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنْ رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ بِمَاذَا أَدْعُو؟ فَقَالَ: تَسْأَلِي اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ(٣).

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ؟ قَالَ: قَوْلِي: "اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي"(٤).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(١٣٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٤٧٢).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية(٢٥/ ٢٨٦).

(٣) الحاوي الكبير للماوردي(٣/ ٤٨٤). والحديث أخرجه الترمذي(٣٥١٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى(٧٦٦٥)، وصححه الألباني في الجامع الصغير(٧٨٧٣).

وقفات قبل الفوات

رمضان حجة لك لا عليك:

إن من فضل الله على عباده أن يسر لهم مواسم الطاعات، وجعلها متنوعة ومتوالية في أوقات مختلفة، حتى يسهل تحصيل الثواب على العباد، وهذا من رحمة الله بعباده.

قال ابن الجوزي: " شهر رمضان لَيْسَ مثله فِي سَائِر الشُّهُور وَلَا فضلت بِهِ أمة غير هَذِه الْأمة فِي سَائِر الدهور، الذَّنب فِيهِ مغْفُور وَالسَّعْي فِيهِ مشكور وَالْمُؤمن فِيهِ محبور والشيطان مبعد مثبور والوزر وَالْإِثْم فِيهِ مهجور وقلب الْمُؤمن بِذكر الله معمور وَقد أَنَاخَ بفنائكم وَهُوَ عَن قَلِيل راحل عَنْكُم شَاهد لكم وَعَلَيْكُم مُؤذن بشقاوة أَو سَعَادَة أَو نُقْصَان أَو زِيَادَة وَهُوَ ضَعِيف مسئول من عِنْد رب لَا يحول وَلَا يَزُول يخبر عَن المحروم مِنْكُم والمقبول، فَالله الله أكْرمُوا نَهَاره بتحقيق الصّيام واقطعوا ليله بطول الْبكاء وَالْقِيَام فلعلكم أَن تفوزوا بدار الْخلد وَالسَّلَام مَعَ النّظر إِلَى وَجه ذِي الْجلَال وَالْإِكْرَام ومرافقة النَّبِي ﷺ"(١).

وقال الحسن البصري: " إن الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا! فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون! ويخسر فيه المبطلون"! (٢).

غدًا توفى النفوس ما كسبت ... ويحصد الزارعون ما زرعوا

إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم ... وإن أساؤا فبئس ما صنعوا (٣).

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزي(ص: ٢١٥).

(٢) لطائف المعارف فيما المواسم العام من الوظائف لابن رجب(ص: ٢٣٢).

(٣) لطائف المعارف فيما المواسم العام من الوظائف لابن رجب(ص: ٢٣٢).

ولقد ذكر الله تعالى حكمته من مشروعية الصيام فقال: { لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى، لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه.

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي "(١).

ومن اغتنم شهره بفعل الطاعة، فحريٌّ أن يكون رمضان حجة له، فيرزق تقوى الله عز وجل فتكون زادًا له طوال عامه، وهذا من أعظم ثمرات الصيام.

فمن ثمراته:

- أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه، متقربًا بذلك إلى الله، راجيا بتركها، ثوابه، فهذا مما يورث التقوى في قلب العبد.

-ومنها: أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه، مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه.

-ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام، يضعف نفوذه، وتقل منه المعاصي، ومنها: أن الصائم في الغالب، تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى، ومنها: أن الغني إذا ذاق ألم الجوع، أوجب له ذلك، مواساة الفقراء المعدمين، وهذا من خصال التقوى.

فحقيق بشهر، هذا فضله، وهذا إحسان الله عليكم فيه، أن يكون موسمًا للعباد مفروضًا فيه الصيام(٢).

---

(١) أخرجه البخاري(٧٤٩٢)، ومسلم(٢٧٦٤).

(٢) وانظر تفسير السعدي (ص: ٨٦).

ومن نعم الله على عباده، أن يسر لهم صيام هذا الشهر وهذه نعمة عظيمة توجب الشكر، كما قال الله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: ١٨٥]

قال أبو جعفر الطبري في قوله تعالى: { وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ }، يعني تعالى ذكره، ولتعظِّموا الله بالذكر له بما أنعم عليكم به، من الهداية التي خذل عنها غيركم من أهل الملل الذين كتب عليهم من صوم شهر رمضان مثلَ الذي كتب عليكم فيه، فضلُّوا عنه بإضلال الله إياهم، وخصَّكم بكرامته فهداكم له، ووفقكم لأداء ما كتبَ الله عليكم من صومه، وتشكروه على ذلك بالعبادة لهُ.

والذكر الذي حضهم الله على تعظيمه به، "التكبير" يوم الفطر، فيما تأوله جماعة من أهل التأويل(١).

وأما تأويل قوله تعالى: { وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}، **قال أبو جعفر الطبري**: يعني "ولتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من الهداية والتوفيق، وتيسير ما لو شاء عسر عليكم"(٢).

وقد أخبر ربنا تبارك وتعالى أنه خلق الموت والحياة بلاءً لعباده لينظر من يحسن منهم العمل فقال سبحانه: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ } [الملك: ٢] **قال الفضيلُ بن عياض في قوله تعالى**: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}، قال: أخلصُه وأصوبُه. قيل ما أخلصه وأصوبه فقال: إنَّ العملَ إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً، لم يُقبل، وإذا كان صواباً، ولم يكن خالصاً، لم يُقبل حتّى يكونَ خالصاً صواباً، قال: والخالصُ إذا كان لله عز وجل، والصَّوابُ إذا كان على السُّنَّة.

---

(١) تفسير الطبري(٣/ ٤٧٨).

(٢) تفسير الطبري(٣/ ٤٧٩).

وقد دلَّ على هذا الذي قاله الفضيلُ قولُ الله عز وجل: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً}.

ومنه قوله تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧]

وقال بعضُ العارفينَ: إنَّما تفاضَلُوا بالإرادات، ولم يتفاضَلُوا بالصَّوم والصَّلاة(١).

عَنْ أَنَسٍ بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ فَقِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ"(٢).

كل ذلك يكون دليلاً على حسن اغتنام أوقات رمضان، فمن سار على ذلك كان رمضان حجة له ومن خالف فلا شك أنه يكون حجة عليه.

العيد عبادة:

أيام العيد أيام شكر وعبادة لا تكون أيام لهوٍ وغفلة، والمؤمن يتقلب بين الطاعات والعبادات، حتى يلقى ربَّ الأرض والسماوات فيفوز بالرضوان من الله والجنات، والمؤمن لا تهدأ نفسه، حتى تطأ قدمه الجنة.

ومن الأعمال التي يحبها الله في هذا اليوم:

١-الإكثار من ذكر الله تعالى:

وقد أوصانا ربنا تبارك وتعالى بذلك فقال: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: ١٨٥]

---

(١) انظر حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم(٨/ ٩٥)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب(١/ ٧١).

(٢) أخرجه الترمذي(٢١٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٣٠٥).

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ"(١).

٢-صلة الأرحام:

وهي من علامات الإيمان بالله واليوم الآخر، كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"(٢).

و**قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ:** "صِلَةُ الرَّحِمِ فَرْضٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"، **وقَالَ مُجَاهِدٌ:** "لَا تُقْبَلُ صَدَقَةٌ مِنْ أَحَدٍ وَرَحِمُهُ مُحْتَاجَةٌ"(٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَلَيْسَ مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ تَرْكُ الْقَرَابَةِ تَهْلَكُ جُوعًا، وَعَطَشًا، وَعُرْيًا، وَقَرِيبُهُ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ مَالًا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَاجِبَةٌ وَإِنْ كَانَتْ لِكَافِرٍ، فَلَهُ دِينُهُ وَلِلْوَاصِلِ دِينُهُ"(٤).

ومن ثمرات صلة الأرحام، أنها تورث بركةً فى الأرزاق وزيادةً فى الأعمار وعمارةً للديار، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي(٣٣٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٢٦٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٣٨).

(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ٣٥).

(٤) أحكام أهل الذمة لابن القيم(٢/ ٧٩٢).

(٥) أخرجه البخاري (٥٩٨٥)، ومسلم(٦٦١٦).

٣-التصدق على الفقراء، والعطف على اليتامى والمساكين:

وعلى رأسها زكاة الفطر عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَرَضَ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى كُلِّ حُرٍّ، أَوْ عَبْدٍ ذَكَرٍ، أَوْ أُنْثَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ "(١).

عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: فرض رسولُ الله ﷺ زكاةَ الفِطْر طُهْرةً للصَائم مِن اللغو والرَّفثِ وطُعْمةً للمساكينَ، مَنْ أدَّاها قبلَ الصَّلاة، فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومن أدَّاها بعدَ الصَّلاة، فهي صَدَقةٌ من الصَّدقات "(٢).

ولإخراج الزكاة أثر اجتماعي كبير على الأمة المسلمة، فهي وسيلة عملية فعالة في سد حاجة المحتاج وعلاج لمشكلة الفقر في المجتمع المسلم بشكل يكاد يكون جذريًا، وبطريقة ميسرة كل التيسير في حين نرى عجز الأنظمة الأرضية التي وضعها المصلحون والمفكرون في شعوب العالم عن علاج هذه المشكلة، كما عالجها الإسلام، وتحقق الأخوة الإيمانية الصادقة التي لا تتحقق عند غير المسلمين، وتظهر نظامًا تكافليًا ربانيًا ليس له على وجه الأرض ند ولا نظير، حيث يعطف فيه الغني على الفقير، ويحترم الفقير الغني، وتبنى فيه العلاقة على أساس المودة والرحمة(٣).

٤-ترك التباغض والتحاسد:

---

(١) أخرجه البخاري(١٥٠٤)، ومسلم(٢٣٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود(١٦٠٩)، وصححه الألباني في الجامع الصغير(٥٨٨٣).

(٣) مجلة البحوث الإسلامية (٦٢/ ٣١٤).

وقد ورد النهي عن التباغض والتحاسد بشكل عام، والنهي عنه في الأعياد من باب أولى، كما في الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " لاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ "(١).

مواصلة الطاعات:

علامة قبول الطاعة أن توصل بطاعة بعدها وعلامة ردها أن توصل بمعصية، وقد **قال بعض السلف**: "إِنَّ مِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةُ بَعْدَهَا، فَالْعَبْدُ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً قَالَتْ أُخْرَى إِلَى جَنْبِهَا: اعْمَلْنِي أَيْضًا، فَإِذَا عَمِلَهَا، قَالَتِ الثَّالِثَةُ كَذَلِكَ وَهَلُمَّ جَرًّا، فَتَضَاعَفُ الرِّبْحُ، وَتَزَايَدَتِ الْحَسَنَاتُ "(٢).

وكان النبي ﷺ يتعوذ من الحور بعد الكور(٣)، **قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ لِمَعْمَرٍ**: مَا الْحَوْرُ بَعْدَ الْكَوْرِ يَا أَبَا عُرْوَةَ؟ قَالَ: " لَا تَكُونُ كَسْبًا يَقُولُ: كَانَ رَجُلاً صَالِحًا ثُمَّ رَجَعَ عَلَى عَقِبِهِ "(٤).

وقال ابن رجب: " ما أحسن الحسنة بعد الحسنة وأقبح السيئة بعد الحسنة، ذنب بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها، والنكسة أصعب من المرض الأول، وما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة "(٥).

كثير من الناس ولله الحمد وفق للمحافظة على صلاة التراويح والتهجد في رمضان، كذا الصبر على صيام النهار، وفي ذلك حجة على من يترك قيام الليل وصيام التطوع بعد

---

(١) أخرجه البخاري(٦٠٦٥)، ومسلم(٦٦٩٠).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم(ص: ٥٦).

(٣) وهو ثابت من حديث عبدالله بن سرجس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند مسلم(٢٦٢٩)، بلفظ كان رسول الله ﷺ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ. . الحديث.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه(٩٢٣١).

(٥) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٦٤).

رمضان، فالذي وفق لذلك على مدار شهر كامل بين صيام وقيام، فلم يعجز عن التطوع بركعات ولو قليلة، أو صيام يومين أو ثلاثة من كل شهر؟! وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: "سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا إِلَى اللهِ وَإِنْ قَلّ "(١).

و قيل لبشر الحافي: إن قوما يتعبدون و يجتهدون في رمضان فقال: بئس القوم لا يعرفون لله حقا إلا في شهر رمضان إن الصالح الذي يتعبد و يجتهد السنة كله(٢).

وقد رغب نبيًا ﷺ أمته في المداومة والمواصلة للطاعات بعد رمضان شحذًا للهمم وترغيبًا لنيل الأجر والثواب، كما في الحديث عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ "(٣).

وذكر ابن رجب في معاودة الصيام بعد رمضان فوائد عديدة:

منها: أن صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام الدهر كله كما سبق.

ومنها: أن صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها فيكمل بذلك ما حصل في الفرض من خلل ونقص فإن الفرائض تجبر أو تكمل بالنوافل يوم القيامة.

ومنها: أن معاودة الصيام بعد صيام رمضان علامة على قبول صوم رمضان فإن الله إذا تقبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده كما قال بعضهم: ثواب الحسنة الحسنة بعدها

---

(١) أخرجه البخاري(٦٤٦٤)، ومسلم(١٨٦٦). من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) لطائف المعارف لابن رجب(ص: ٢٤٤).

(٣) أخرجه مسلم(٢٨١٥).

فمن عمل حسنة ثم اتبعها بعد بحسنة كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى كما أن من عمل حسنة ثم اتبعها بسيئة كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بشكر نعمة صيام رمضان بإظهار ذكره وغير ذلك من أنواع شكره فقال سبحانه: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: ١٨٥] فمن جملة شكر العبد لربه على توقيفه لصيام رمضان وإعانته عليه ومغفرة ذنوبه أن يصوم له شكرا عقب ذلك.

ومنها: أن الأعمال التي كان العبد يتقرب بها إلى ربه في شهر رمضان لا تنقطع بانقضاء رمضان بل هي باقية بعد انقضائه ما دام العبد حيًا وهذا معنى الحديث المتقدم: أن الصائم بعد رمضان كالكار بعد الفار يعني كالذي يفر من القتال في سبيل الله ثم يعود إليه، وذلك لأن كثيرا من الناس يفرح بانقضاء شهر رمضان لاستثقال الصيام ومله وطوله عليه ومن كان كذلك فلا يكاد يعود إلى الصيام سريعا فالعائد إلى الصيام بعد فطره يوم الفطر يدل عوده على رغبته في الصيام وأنه لم يمله ولم يستثقله ولا تكره به[١].

وقوله ﷺ: " **كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**"، ومعنى ذلك؛ أَنَّ الحسنةَ لمّا كانت بعشر أمثالها، كان مبلغ مَا لَهُ من الحَسَنات في صومِ الشَّهر والسِّتةِ أيّام ثلاث مئة وستّون حَسَنَة، عدد أيّام السَّنَة، وكأنَّه صام سَنَة كاملة، يكتب له في كلِّ يوم منها حسنة[٢].

وقال النووي: " قَالَ الْعُلَمَاءُ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ لِأَنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا فَرَمَضَانُ بِعَشَرَةِ أَشْهُرٍ وَالسِّتَّةُ بِشَهْرَيْنِ "[٣].

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٢٠).

(٢) المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي(٤/ ٢١٣).

(٣) شرح النووي على مسلم (٨/ ٥٦).

لا تقنطوا من رحمة الله:

لقد فرض الله عز وجل علينا صيام نهار رمضان، ورغَّب نبينا ﷺ في قيام لياليه، وحثنا على المسابقة والمسارعة فيه بالطاعات، والمنافسة في فعل الخيرات، فطوبى لمن اغتنم أوقات هذا الشهر في الطاعة، فحافظ على صيامه كما أمر ربنا تبارك وتعالى، ولم يتعرض لشيء يغضب الله عز وجل، فعسى أن يكون من المفلحين، وأما من قصر في أمر من الأمور، فليسارع بالتوبة والإنابة، ولا يقنط من رحمة الله عز وجل فإن رحمته سبحانه وسعت كل شيء، ومن ظن أن ذنوبه لا تتسع لعفو الله ومغفرته فقد ظن بربه ظن سوء.

ويستمر المسير إلى اللَّه

لقد حلَّ بنا شهر رمضان شهرًا كريمًا وضيفًا عزيزًا، فأودعناه ما شاء الله من الأعمال، ثم ما لبث إلا أن فارقنا سريعًا فمضى وانقضى إما شاهدًا لنا أو علينا، والناس بعد رمضان على صنفين:

منهم من فرح بانقضائه وفراقه، لأنهم تخلصوا من عِبئ الصيام والعبادات التي كانت ثقيلة عليهم.

ومنهم من فرح بتمامه لأنهم وفقوا للعمل الصالح فيه، فصاموه وقاموه إيمانًا واحتسابًا، وطلبًا لعفو الله ومغفرته، فاستحقوا المغفرة والرضوان من الله، وصدق فيهم قول النبيﷺ " مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ "(١).

وقال ﷺ: " مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ "(٢).

الاغترار بالطاعات سبيل الشيطان:

من أصول معتقد أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وقد يستخف الشيطان بالبعض فيدفعهم إلى الاغترار ببعض الطاعات التي عملوها، فيسوقه من حيث لا يدري إلي التهاون: بدايةً في الواجبات إلي أن يتركها بالكلية، ويجعله يستهين ببعض الصغائر إلى أن يسوقه إلى فعل الكبائر، وهذا هو سبيل الشيطان وكيده

بابن آدم كما أخبر بذلك النبي ﷺ: " إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ "(٣).

---

(١) أخرجه البخاري(٣٨)، ومسلم(١٨١٧). من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري(٣٧)، ومسلم(١٨١٥). من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري(٢٠٣٨)، ومسلم(٥٨٠٧)، عَنْ أَنَسِ بن مَالِك رضي الله عنه.

وقد حذرنا ربنا تبارك وتعالى من كيد الشيطان وخطواته فقال سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } [البقرة: ٢٠٨]

ووصف ربنا حال المؤمنين بقوله: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون: ٦٠، ٦١]

فوصفهم ربنا تبارك وتعالى بهذا الوصف مع حرصهم الشديد على العمل، ومع ذلك فهم يعيشون في حالة حذر وترقب مخافةَ ألا يقبل منهم ذلك العمل.

وصدق الرسول ﷺ إذ يقول: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا"(١).

وَقَالَ ابنُ بَطَّالٍ: "الْمُحَقَّرَاتُ إِذَا كَثُرَتْ صَارَتْ كِبَارًا مَعَ الْإِصْرَارِ وَقَدْ أَخْرَجَ أَسَدُ بْنُ مُوسَى فِي الزُّهْدِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ فَيَثِقُ بِهَا وَيَنْسَى الْمُحَقَّرَاتِ فَيَلْقَى اللَّهَ وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ السَّيِّئَةَ فَلاَ يَزَالُ مِنْهَا مُشْفِقًا حَتَّى يلقى الله آمنًا"(٢).

والأعمال بالخواتيم كما أخبر سيد المرسلين ﷺ، ولا يدري أحدٌ بم يختم له في آخر حياته أعلى الطاعة أم على المعصية.

وقد حذرنا النبي ﷺ من الاغترار بحسن العمل لأن قبول الأعمال بيد الله سبحانه، عن عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهْوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: "إِنَّ

---

(١) أخرجه البخاري(٦٣٠٨)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٣٠).

أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ، أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ"(١).

وفي حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، في قصة الرجل الذي كان يجاهد معهم فاغتر بعض الصحابة بفعله، فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: " إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهْوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهْوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ"(٢).

ومن الناس من حسَّن له الشيطانُ أعماله السيئة من معاصي الله والكفر به، وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان، فرآه حسنًا فحسِب سيئ ذلك حسنًا، وظن أن قبحه جميل، لتزيين الشيطان ذلك له، كما قال سبحانه: {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [فاطر: ٨](٣).

زمان العمل لا ينقضي ولا ينقطع:

---

(١) أخرجه البخاري(٣٢٠٨)، ومسلم(٦٨٩٣).

(٢) أخرجه البخاري(٢٨٩٨)، ومسلم(٣٢٠).

(٣) وانظر تفسير الطبري(٢٠/ ٤٤١).

إن مواسم الطاعات والخيرات لا تنقضي ما دام في العمر بقية، والمؤمن الصادق في إيمانه بالله عز وجل يتقلب في الطاعات من طاعة إلى طاعة، فلا ينعم المؤمن في دار الدنيا ولا يرتاح، حتى يطأ بقدمه الجنة.

وقد أمرنا ربنا تبارك وتعالى بمواصلة العبادة، والاجتهاد في الطاعات حتى الممات فقال عزَّ من قائل: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: ٩٩]

أي: وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْمَوْتُ، الَّذِي هُوَ مُوقَنٌ بِهِ(١).

ولئن انقضى شهر رمضان، فزمان العمل لم ينقض، ولئن انقضى شهر الصيام فزمن الصيام لم ينقض، ولا يزال الصيام مشروعًا، ولله الفضل والمنة، فهناك أحاديث كثيرة حثَّ فيها النبي ﷺ ورغبَّ أمته في التطوع بالصيام، فعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ"(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَصُومُ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ، فَقِيلَ: يا رسول الله، إِنَّكَ تَصُومُ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ! فَقَالَ: "إِنَّ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ يَغْفِرُ اللَّهُ فِيهِمَا لِكُلِّ مُسْلِمٍ إِلَّا مهتجرين، يَقُولُ: دَعْهُمَا حَتَّى يَصْطَلِحَا"(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قَالَ أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ(٤).

---

(١) تفسير الطبري(١٤/ ١٥٤).

(٢) أخرجه مسلم(٢٨١٥).

(٣) أخرجه ابن ماجة بهذا اللفظ(١٧٤٠)، وصححه الألباني في الجامع الصغير (٤٠٤٢).

(٤) أخرجه البخاري(١٩٨١)، ومسلم(١٧٠٥).

فأخبر النبي ﷺ أن صِيَامَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ بِمَنْزِلَةِ صِيَامِ الدَّهْرِ، إِذِ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَحْصُلَ لَهُ ثَوَابُ مَنْ صَامَ ثَلاَثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ يَوْمًا، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا حَرَامٌ قَطْعًا، فَعُلِمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ حُصُولُ هَذَا الثَّوَابِ عَلَى تَقْدِيرِ مَشْرُوعِيَّةِ صِيَامِ ثَلاَثِمِائَةٍ وَسِتِّينَ يَوْمًا(١).

وقد وعد الله عز وجل الصائمين بالمغفرة والثواب العظيم فقال سبحانه: {وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: **٣٥**]

ويقال لهم يوم القيامة: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الحاقة: **٢٤**]

قال مجاهد و غيره: نزلت في الصوم، ومن ترك لله طعامه و شرابه و شهواته عوضه الله خيرًا من ذلك طعامًا و شرابًا لا ينفذ و أزواجًا لا تموت(٢).

-**ولئن انقضى شهر التراويح والقيام،** فإن القيام لايزال مشروعًا طوال العام، وقد قال النبي ﷺ: " أَفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلاَةُ اللَّيْلِ "(٣).

وحث أمته ورغبها في الأخذ بالسنن، فقال ﷺ: " مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّى لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلاَّ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ أَوْ إِلاَّ بُنِىَ لَهُ بَيْتٌ فِى الْجَنَّةِ ".

قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ رضي الله عنها "فَمَا بَرِحْتُ أُصَلِّيهِنَّ بَعْدُ"(٤).

وعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ صَلاَةِ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حُرِّمَ عَلَى جَهَنَّمَ "(١).

---

(١) وانظر زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم(٢/ ٧٧).

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٣٦).

(٣) أخرجه مسلم(٢٨١٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم(١٧٢٩)عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رضي الله عنها.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ "اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا "(٢).

وأقل الوتر ركعة، وأكثره ثلاث عشرة ركعة.

-ولئن مضى شهر القرآن، فلا يزال كتاب ربنا فينا باقيًا، وثواب تلاوته لا ينقطع، عن عَبْدِ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ الْمٓ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ "(٣).

ومن أراد الهدى فبالقرآن، قال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [الإسراء: ٩].

ومن أراد الغنى فبالقرآن، قال رسول الله ﷺ: "أَفَلاَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَثَلاَثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثٍ وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ "(٤).

ومن أراد الشفاعة فبالقرآن، عن النَّوَّاسُ بْنُ سَمْعَانَ الْكِلاَبِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ النَّبِي ﷺ "يَقُولُ يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَان، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ: ﷺ ثَلاَثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا "(٥).

---

(١) أخرجه أبو داود(١٢٦٩). وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١١٦٧).

(٢) أخرجه البخاري(٩٨٨)، ومسلم(١٧٩١).

(٣) أخرجه الترمذي(٢٩١٠)، وصححه الألباني في الجامع الصغير (١١٤١٥).

(٤) أخرجه مسلم (١٩٠٩)، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه مسلم (١٩١٢).

ومن أراد الشفاء ففي القرآن، قال سبحانه: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ } [فصلت: ٤٤]

وقال تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء: ٨٢]

وبالجملة من أراد الخير كله ففي التمسك والعمل بالقرآن، **ومن أراد الشر** كله فبالإعراض عنه، قال تعالى: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى(١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥)قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى(١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى } [طه: ١٢٣-١٢٧].

-وأما باب الصدقات والإنفاق في سبيل الله بعد رمضان فلم يغلق، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ دَعَتْهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ أَيْ فُلُ -أي فلان- هَلُمَّ[1]

قوله ﷺ"من أنفق زوجين"، الزَّوْج فِي اللُّغَة: كل شَيْء كَانَ لَهُ قرين من جنسه، فَهُوَ اسْم يَقع على كل وَاحِد من المقترنين، أي صنفين من المال، "في سبيل الله" تعالى أي في طاعته من كل بر[2].

---

(١) أخرجه البخاري(٣٢١٦)، ومسلم(٢٤٢٠).

(٢) وانظر كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي(٣/ ٣٩٠)، والكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (١٢/ ١٠٦).

ولقد ضرب الله مثلاً للمنفقين والمتصدقين فقال سبحانه: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[البقرة: ٢٦١]

قال ابن كثير: "هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، فقال: { مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. . . الآية} وهذا المثل أبلغ في النفوس، من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل، لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة، وقد وردت السنة بتضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف"(١).

وباب الصدقات ولله الحمد من أوسع الأبواب التي تجلب الخير والثواب، ففي كل ما ينفق المرء من شيء له فيه أجرٌ ما دام أنفقه ابتغاء وجه الله حتى النفقة على الزوجة والأولاد، والأقارب وذوي الأرحام، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ له: "إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ "(٢).

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ أَوْ أَعْظَمَ "(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير(١/ ٦٩١).

(٢) أخرجه البخاري(١٢٩٥)، ومسلم(٤٢٩٦).

(٣) أخرجه البخاري(١٤١٠)، ومسلم(٢٣٨٩).

وقال ابن القيم: " وفى الصدقة فوائد ومنافع لا يحصيها الا الله، فمنها أنها تقى مصارع السوء وتدفع البلاء حتى إنها لتدفع عن المظلوم(١).

-وأما الاعتكاف: فهو المكوث في المسجد بقصد التعبد، ولئن ظن البعض أن زمانه مضى بانقضاء رمضان، فثواب انتظار الصلوات لم ينقض، كما أخبر بذلك الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ". قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، **وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ** "(٢).

وَقَوْله ﷺ: "فَذَلِكُمْ الرِّبَاط"، أَيْ الرِّبَاط الْمُرَغَّب فِيهِ، وَأَصْل الرِّبَاط الْحَبْس عَلَى الشَّيْء كَأَنَّهُ حَبَسَ نَفْسه عَلَى هَذِهِ الطَّاعَة، **وقِيلَ**: يَحْتَمِل أَنَّهُ أَفْضَل الرِّبَاط كَمَا قِيلَ الْجِهَاد جِهَاد النَّفْس، وَيَحْتَمِل أَنَّهُ الرِّبَاط الْمُتَيَسِّر الْمُمْكِن أَيْ أَنَّهُ مِنْ أَنْوَاع الرِّبَاط(٣).

وعَنْ أَنَسٍ بن مَالِك رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ صَلَّى الغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ"(٤).

لا يزال باب التوبة مفتوحًا:

لقد فتح الله عز وجل لعباده باب التوبة، وشرع لهم من الأعمال الصالحات التي تمحو ذنوبهم وتكفر عنهم سيئاتهم، وأخبرهم بأنه وحده الذي يقبل التوبة منهم، بل إنه

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم(ص: ٢٥٤).

(٢) أخرجه مسلم(٦١٠).

(٣) شرح النووي على مسلم(١/ ٤٠٦).

(٤) أخرجه الترمذي(٥٨٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٦٣٤٦).

جلَّ شأنه أفرح بتوبة عباده من فرحهم أنفسهم، قال سبحانه: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا } [النساء: ٢٧]

وقَدَّمَ الْمُسْنَدَ إِلَيْهِ عَلَى الْخَبَرِ الْفِعْلِيِّ فِي قَوْلِهِ: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ. . . }، لِيَدُلَّ عَلَى التَّخْصِيصِ الْإِضَافِيِّ. أَيِ: أن اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ، أَيْ يُحَرِّضَكُمْ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْإِقْلَاعِ عَنِ الْمَعَاصِي، وَأَمَّا الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ، فَيُرِيدُونَ انْصِرَافَكُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَمَيْلَكُمْ عَنْهُ إِلَى الْمَعَاصِي(١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا وَزَنَوْا فَأَكْثَرُوا ثُمَّ أَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالُوا إِنَّ الَّذِى تَقُولُ وَتَدْعُو لَحَسَنٌ وَلَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً فَنَزَلَ {وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا}، وَنَزَلَ {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ }(٢).

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: " الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ "(٣).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، كحديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الوضوء، وغيرها من الأحاديث الثابتة الصحيحة، قال النووي مُعلقًا على جملة من هذه الأحاديث: " قَوْله: (مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبه وَكَانَتْ صَلاَته وَمَشْيه إِلَى الْمَسْجِد نَافِلَة)، وَفِي الْحَدِيث الْآخَر: (الصَّلَوَات الْخَمْس كَفَّارَة لِمَا بَيْنهنَّ). وَفِي الْحَدِيث الْآخَر: (الصَّلَوَات الْخَمْس وَالْجُمُعَة إِلَى الْجُمُعَة وَرَمَضَان إِلَى رَمَضَان. مُكَفِّرَات مَا بَيْنهنَّ إِذَا اُجْتُنِبَتْ

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور(٥/ ٢١).

(٢) أخرجه مسلم (٣٣٧).

(٣) أخرجه مسلم(٥٧٤).

الْكَبَائِر): فَهَذِهِ الْأَلْفَاظ كُلّهَا ذَكَرَهَا مُسْلِم فِي هَذَا الْبَاب، **وَقَدْ يُقَال**: إِذَا كَفَّرَ الْوُضُوء فَمَاذَا تُكَفِّر الصَّلاَة؟ وَإِذَا كَفَّرَتْ الصَّلاَة فَمَاذَا تُكَفِّر الْجُمُعَات وَرَمَضَان، وَكَذَلِكَ صَوْم يَوْم عَرَفَة كَفَّارَة سَنَتَيْنِ وَيَوْم عَاشُوراء كَفَّارَة سَنَة؟ وَإِذَا وَافَقَ تَأْمِينه تَأْمِين الْمَلاَئِكَة غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبه؟ وَالْجَوَاب مَا أَجَابَهُ الْعُلَمَاء أَنَّ كُلّ وَاحِد مِنْ هَذِهِ الْمَذْكُورَات صَالِح لِلتَّكْفِيرِ فَإِنْ وَجَدَ مَا يُكَفِّرهُ مِنْ الصَّغَائِر كَفَّرَهُ وَإِنْ لَمْ يُصَادِف صَغِيرَة وَلَا كَبِيرَة كُتِبَتْ بِهِ حَسَنَات وَرُفِعَتْ بِهِ دَرَجَات، وَإِنْ صَادَفَتْ كَبِيرَة أَوْ كَبَائِر وَلَمْ يُصَادِف صَغِيرَة رَجَوْنَا أَنْ يُخَفِّفَ مِنْ الْكَبَائِر وَاَللَّه أَعْلَم".

تحريك الفؤاد لذوق حلاوة الأنس برب العباد

لله در أَقوام شغلهمْ حب مَوْلَاهُم عَن لذات دنياهم اسْمَع حَدِيثهمْ إِن كنت مَا تراهم خوفهم قد أزعج وأقلق، وحذرهم قد أتلف وأحرق، وحادي جدهم مُجِدٌّ لَا يترفق، كلما رأى طول الطَّرِيق نَصَّ وأعنق، وَكَيف يَحسن الفتور وأوقات السَّلامَة تُسرق، دموعهم فِي أَنهَار الخدود تجْرِي وتتدفق، يشتاقون إِلَى الحبيب والحبيب إِلَيْهِم أشوق، يَا حسنهم فِي الدجى ونورهم قد أشرق، وَالْحَيَاء فائض وَالرَّأْس قد أطرق..... إِن نَامُوا توسدوا أَذْرع الهمم وَإِن قَامُوا فعلى أَقْدَام القلق. (١)

لسان حالهم ومقالهم: نحن في روضة طعامنا فيها الخشوع وشرابنا فيها الدموع. (٢)

أيها المسكين؛ وكلنا مساكين: لَو قُمْت فِي السحر لرأيت طَرِيق العبَّاد قد غص بالزحام، لَو وَردت مَاء مَدين وجدت عَلَيْهِ أمة من النَّاس يسقون. (٣)

لله قَوْمٌ شَرُوا مِنْ الله أَنْفُسَهُم. . . فَأَتْعَبُوهَا بِذِكْرِ اللهِ أَزْمَانَا

أَمَّا النَّهَارُ فَقَدْ وَافَوا صِيامَهُمُ. . . وَفِي الظَّلَامِ تَرَاهُمْ فِيهِ رُهْبَانَا

أَبْدَانُهُم أَتْعَبَتْ فِي اللهِ أَنْفُسَهَم. . . وَأَنْفُسٌ أَتْعَبَتْ فِي اللهِ أَبْدَانَا

ذَابَتْ لُحُومُهُمُ خَوْفَ العَذَابِ غَدًا. . . وَقَطَّعُوا اللَّيلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنَا

وإليك بعضًا من اجتهادهم، ونماذج من هديهم، عسى أن نحذو حذوهم، ونتأسى بهديهم.

سيد العابدين وقدوة العاملين

---

(١) المدهش لابن الجوزي (ص: ٤٦١)

(٢) المدهش (ص: ٢٥١)

(٣) المدهش (ص: ٤٦٢)

نبدأ بسيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين نبينا محمد ﷺ الذي ما اكتحلت العيون بمثل رؤيته، ولا شرفت النفوس بمثل صحبته، خير من قام لله وركع وسجد، **عن أنس** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((وجعلت قرة عيني في الصلاة)). [١] ومن كانت قرة عينه في شيء فإنه يود أن لا يفارقه ولا يخرج منه لأن فيه نعيمه وبه تطيب حياته. [٢]

والعابد يأنس بعبادته فيستلذ بها بحيث لو منع منها لكان أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم: ما أخاف من الموت إلا من حيث أنه يحول بيني وبين قيام الليل. [٣]

وكان ﷺ اشتغاله بالصلاة راحة له فإنه كان يعد غيرها من الأعمال الدنيوية تعبا، وكان يستريح بالصلاة لما فيها من المناجاة. [٤] **عن سالم بن أبي الجعد**، قال: قال رجل: ليتني صليت فاسترحت، فكأنهم عابوا عليه ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها)). [٥]

قام من الليل حتى تورمت قدماه، ليؤدي شكر مولاه، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ صلى حتى انتفخت قدماه، فقيل له: أتكلف هذا؟ وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: ((أفلا أكون عبدا شكورا)). [٦]

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٢٨) والنسائي (٧/ ٦١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٩٩)

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٤٥)

(٣) فيض القدير للمناوي (٣/ ٣٧١)

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٩٣٩)

(٥) رواه أبو داود (٤٩٨٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣٠٧)

(٦) رواه البخاري (١١٣٠) ومسلم (٢٨١٩)

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ، إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: ((يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا)). (١)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: صليت مع النبي ﷺ ليلة، فلم يزل قائما حتى هممت بأمر سوء، قلنا: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذر النبي ﷺ. (٢)

قال عبد الله بن رواحة

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ. . . إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ من الْفَجْرِ سَاطِعُ

أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا. . . بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ. . . إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْكَافِرِينَ الْمَضَاجِعُ(٣)

– إن شئت أن تراه قائمًا، أو راكعًا، أو ساجدًا، أو ذاكرًا، في أي ساعة من ليل أو نهار وجدته ﷺ بأمر الله قائمًا، ولعبادة الله ملازمًا، فقد كان عمله ﷺ ديمة.

عن علقمة، قلت لعائشة رضي الله عنها: هل كان رسول الله ﷺ، يختص من الأيام شيئا؟ قالت: لا، كان عمله ديمة، وأيكم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق. (٤)

– يقوم بين يدي ربه أحسن قيام وأكمله يجمع فيه بين كمال المحبة وكمال الذل

---

(١) رواه البخاري (٤٨٣٧) ومسلم (٢٨٢٠)

(٢) رواه البخاري (١١٣٥) ومسلم (٧٧٣)

(٣) رواه البخاري (١١٥٥)

(٤) رواه البخاري (١٩٨٧) ومسلم (٧٨٣)

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه، قال: أتيت النبي ﷺ، وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء. (١)

وعن عُبيد بن عُمير؛ أنه قال لعائشة رضي الله عنها: أخبرينا بأعجب شيء رأيتِه من رسول الله ﷺ؟ قال: فسكتَتْ؛ ثم قالت: لما كانت ليلة من الليالي قال: ((يا عائشة! ذَريني أتعبد الليلة لربي)). قلت: والله إني أحب قربك، وأحب ما يسرك. قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بَلَّ حِجره. قالت: وكان جالساً فلم يزل يبكي ﷺ حتى بلَّ لحيته. قالت: ثم بكى حتى بلَّ الأرض. فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله! تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: ((أفلا أكون عبداً شكوراً؟ لقد أُنزلتْ عليّ الليلَة آيةٌ؛ ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ})) الآية كلها. (٢)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة، فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه، فتحسست ثم رجعت، فإذا هو راكع أو ساجد يقول: ((سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت)). فقلت: بأبي أنت وأمي، إني لفي شأن وإنك لفي آخر. (٣)

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: ((اللهم أعوذ برضاك

---

(١) رواه أبو داود (٩٠٤) والنسائي (٣/ ١٣) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٣١٦)

(٢) رواه ابن حبان (٦٢٠) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٨٦)

(٣) رواه مسلم (٤٨٥)

من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أُحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)). (١)

ولا يعلم ما في هذه الكلمات – من التوحيد والمعارف والعبودية – إلا الراسخون في العلم بالله ومعرفته، ومعرفة عبوديته. (٢)

وعند الشدائد والصعاب وتغير الزمان، يكون ﷺ أقرب الخلق من الرحمن.

عن علي رضي الله عنه، قال: ما كان فينا فارسٌ يوم بدر غير المقداد ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي، ويبكي، حتى أصبح. (٣)

صيامه ﷺ

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ، وابن رواحة. (٤)

سماعه ﷺ القرآن

كان ﷺ يحب سماع القرآن من غيره، **عن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((اقرأ علي القرآن)) قال: فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك؟ وعليك أنزل؟ قال: ((إني أشتهي أن أسمعه من غيري))، فقرأت النساء حتى إذا بلغت:

---

(١) رواه مسلم (٤٨٦)

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٢٦٨)

(٣) رواه أحمد (١/ ١٢٥) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٥٥)

(٤) رواه البخاري (١٩٤٥) ومسلم (١١٢٢)

{فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} [النساء٤١] رفعت رأسي، أو غمزني رجل إلى جنبي، فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل. (١)

جوده ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة. (٢)

نماذج من الصحابة الكرام

قوم أَقبلت قلوبهم تراعي حق الحق، فذهلت بذلك عن مناجاة الخلق، فالأبدان بين أهل الدنيا تسعى، والقُلوب في رياض الملكوت ترعى، نازلهم الخوف فصاروا والهين، وناجاهم الفكر فعادوا خائفين، وجَنَّ عليهم الليل فباتوا ساهرين، وناداهم منادى الصَّلاح حيّ على الفلاح فقاموا متهجدين، وهبت عليهم ريح الأَسحار فتيقظوا مستغفرين، وقطعوا بند المجاهدة فأصبحوا واصلين، فلمَّا رجعوا وقت الفجر بالأَجر نادى الهجر: يا خيبة النائمين. (٣)

فمهما سطَّر البنان، وتكلم العلماء بكلِّ لسان؛ فإن سير هؤلاء يعجز عن وصفها إنسان.

فهم أولى بالحديث من قول العباس بن الأحنف عن محبوبته:

وَحَدَّثْتَنِي يَا سَعْدُ عَنْهَا فَزِدْتَنِي ... جُنُونًا فَزِدْنِي مِنْ حَدِيثِكَ يَا سَعْدُ

---

(١) رواه البخاري (٤٥٨٣) ومسلم (٨٠٠)

(٢) رواه البخاري (٦) ومسلم (٢٣٠٨)

(٣) مواعظ ابن الجوزي - الياقوتة (ص: ٥٧)

فهم مصابيح الدُّجى، وينابيع الرشد والحجى، خصوا بخفي الاختصاص، ونقوا من التصنع بالإخلاص، وهم الواصلون بالحبل، والباذلون للفضل، والحاكمون بالعدل، هم المبادرون إلى الحقوق من غير تسويف، والموفون للطَّاعات من غير تطفيف.

هُم الرِّجَالُ وَعَيْبٌ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ. . . لَمْ يَتَّصِفْ بِمَعَانِيَ وَصْفِهِم رَجُلُ

أبو بكر الصديق

السّابق إلى التَّصديق، الملقب بالعتيق المؤيد من الله بالتوفيق، {ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ} [سورة التوبة: ٤٠]

كان رقيق القلب غزير الدَّمع، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما مرض النبي ﷺ مرضه الذي مات فيه أتاه بلال يوذنه بالصلاة، فقال: ((مروا أبا بكر فليصل))، قلت: إن أبا بكر رجل أسيف إن يقم مقامك يبكي، فلا يقدر على القراءة. (١)

ضرب بسهم في كل باب من أبواب الخير، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة))، فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها، قال: ((نعم وأرجو أن تكون منهم)). (٢)

---

(١) رواه البخاري (٧١٢) ومسلم (٤١٨)

(٢) رواه البخاري (١٨٩٧) ومسلم (١٠٢٧)

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أصبح منكم اليوم صائما؟)) قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: ((فمن تبع منكم اليوم جنازة؟)) قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: ((فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟)) قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: ((فمن عاد منكم اليوم مريضا؟)) قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، فقال رسول الله ﷺ: ((ما اجتمعن في امرئ، إلا دخل الجنة)). (١)

تعب في المكاسب فنالها حلالا، ثم أنفقها حتى جعل في الكساء خلالا، قال له الرسول أسلم فكان الجواب نعم بلا: لا، ولو لم يفعل في الإسلام إلا أنه أعتق بلالا.

جمع يوم الردة شمل الإسلام بعد أن نعق غراب البين، وجهز عساكر العزم فمرت على أحسن زين، وصاح لسان جده فارتاع من بين الصفين، فقال: أقاتلهم ولو بابنتي هاتين. (٢)

ومع رقته كان أثبت الناس عند الشدائد، فعندما مات رسول الله ﷺ قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم قرأ: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} إِلَى {الشَّاكِرِينَ}. [آل عمران: ١٤٤]. (٣)

ومع ما له من السبق والفضل كان يقول: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن. (٤)

ولما قدم أهل اليمن في زمانه فسمعوا القرآن جعلوا يبكون، فقال أبو بكر: هكذا كنا، ثم قست القلوب. (١)

---

(١) رواه مسلم (١٠٢٨)

(٢) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٤١٢)

(٣) رواه البخاري (٣٦٦٨)

(٤) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٩٠)

- عمر بن الخطاب

فاروق الأمة، عالي الهمة، وينافس على القمة، يقول رضي الله عنه أمرنا رسول الله ﷺ يوما أن نتصدق، فوافق ذلك مالا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: ((ما أبقيت لأهلك؟))، قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: ((ما أبقيت لأهلك؟)). قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلتُ: لا أسابقك إلى شيء أبدا. (٢)

نبذ الدنيا من وراء ظهره فتخفف من الأثقال لأجل السباق، كان يخطب وفي إزاره ثنتا عشرة رقعة، كفَّ كفه عن المال زاهدا فيه حتى أملق أهله. (٣)

لما عتبوا عليه قلة نومه قال: مالي وللنوم فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسي. (٤)

ومع شدته على الكفّار إلا أنه كان رقيق القلب سريع الدَّمع. عن عبد الله بن شداد، قال: سمعت نشيج عمر وأنا في آخر الصفوف في صلاة الصبح وهو يقرأ: {إنما أشكو بثي وحزني إلى الله}. (٥)

وكان في وجهه خطان أسودان مثل الشراك من البكاء. وكان يمر بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط ويبقى في البيت حتى يعاد للمرض.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٤/ ٥)

(٢) رواه أبو داود (١٦٧٨) وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٥/ ٣٦٦)

(٣) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٤٢٦)

(٤) إحياء علوم الدين (١/ ٣٥٠)

(٥) رواه البخاري معلقا (١/ ١٤٤) وابن أبي شيبة في المصنف (١/ ٣٥٥)

و بعد كل أعماله الجميلة يقول عند موته: الويل لعمر إن لم يغفر الله له!. (١)

عثمان بن عفان

القانت الحيي ذو الهجرتين، الكريم الجواد ذو النورين، كان حظُّه من النَّهار الجود والصيام، ومن الليل السجود والقيام، مبشر بالجنة على بلوى تصيبه.

قالت امرأته حين دخلوا عليه ليقتلوه: إن تقتلوه أو تتركوه فإنه كان يحيي الليل في ركعة يجمع فيها القرآن!. (٢)

وقال رضي الله عنه: **قدم** رسول الله ﷺ المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال رسول الله ﷺ: ((من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة))؟ فاشتريتها من صلب مالي. ولما ضاق المسجد بأهله، قال رسول الله ﷺ: ((من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة))؟ فاشتريتها من صلب مالي. وجهزت جيش العسرة من مالي. (٣)

ومع ما له في الإسلام من قدم صدق، كان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: ((إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه)). (٤)

علي بن أبي طالب

---

(١) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٤٢٨)

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك (١/ ٤٥٣) والتبصرة لابن الجوزي (١/ ٤٣٨)

(٣) رواه الترمذي (٣٧٠٣) وحسنه الألباني في إرواء الغليل(٦/ ٣٩)

(٤) رواه الترمذي (٢٣٠٨) وابن ماجه (٤٢٦٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٤٧)

نُور المطيعين، وولي المتقين، وإمام العابدين، من أسرع الصحابة إجابة، وأعظمهم حلما، وأوفرهم علما، وأقومهم قضية، رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله بشهادة رسول الله ﷺ.

صلى الفجر يوما، فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ وما أرى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم وكأن القوم باتوا غافلين. يعنى من كان حوله. (١)

ولما أتت فاطمة رضي الله عنها النبي ﷺ تسأله خادما، فقال: ((ألا أخبرك ما هو خير لك منه؟ تسبحين الله عند منامك ثلاثا وثلاثين، وتحمدين الله ثلاثا وثلاثين، وتكبرين الله أربعا وثلاثين)). قال علي: ما تركته منذ سمعته من النبي ﷺ، قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين. (٢)

أبو موسى الأشعري

كان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه صواما، قواما، ربانيا، زاهدا، عابدا، ممن جمع العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر، لم تغيره الإمارة، ولا اغتر بالدنيا. (٣)

قال له معاذ بن جبل: كيف تقرأ القرآن؟ قال: قائما وقاعدا وعلى راحلتي، **فقال معاذ**: أما أنا فأنام وأقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي. (١)

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٤١١)

(٢) رواه البخاري (٥٣٦٢) ومسلم (٨٠) من حديث علي رضي الله عنه

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩٦)

وعن أبي إدريس عائذ الله قَالَ: صَامَ **أبو موسى** حتى عاد كأنه خلال (نحل جسده)، فقيل له: يا أبا موسى لو أجممت نفسك، قَالَ: إجمامها أريد، أني رأيت السّابق من الخيل المضمر. (٢)

واجتهد أبو موسى الأشعري قبل موته اجتهادا شديدا، فقيل له: لو أمسكت أو رفقت بنفسك بعض الرفق؟ فقال: إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها، أخرجت جميع ما عندها، والذي بقي من أجلي أقل من ذلك. ، فلم يزل على ذلك حتى مات. (٣)

عبد الله بن عمر بن الخطاب

المتعبد المتهجد المتتبع للأثر، وأين مثل ابن عمر في دينه، وورعه، وعلمه، وتألهه، وخوفه، من رجل تعرض عليه الخلافة، فيأباها، والقضاء من مثل عثمان، فيرده، ونيابة الشام لعلي، فيهرب منه؟! فالله يجتبي إليه من يشاء، ويهدي إليه من ينيب. (٤)

زكاه رسول الله ﷺ فقال: نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي بالليل)) قال سالم: فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلا. (٥)

قيل لنافع: ماذا كان يصنع ابن عمر في بيته؟ قال: لا تطيقونه، الوضوء لكل صلاة، والمصحف فيما بينهما. (٦)

---

(١) رواه البخاري (٤٣٤٤)

(٢) صفة الصفوة (١/ ٢١٣)

(٣) قصر الأمل لابن أبي الدنيا (ص: ١٠٨)

(٤) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٣/ ٢٣٥)

(٥) رواه البخاري (٣٧٣٩) ومسلم (٢٤٧٩)

(٦) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٣/ ٢١٥)

وكان رضي الله عنه إذا جنَّ الليل يقوم فيصلى ما قُدِّر له، ثم يصير إلى فراشه فيغفى إغفاء الطَّائر، ثم يقوم فيتوضأ، ثم يصلي، ثم يرجع إلى فراشه، فيغفى إغفاء الطَّائر، ثم يثب فيتوضأ، ثم يصلي، فيفعل ذلك في الليلة أربع مرات، أو خمسًا. (١)

وعن نافع قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما يصلي بالليل فيمر بالآية فيها ذكر الجنة فيقف فيسأل الله الجنة ويدعو، وربما بكى، ويمر بالآية فيها ذكر النار فيقف ويتعوذ بالله من النار ويدعو، وربما بكى، وكان إذا أتى على هذه الآية {ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله} بكى، وقال: بلى يا رب، بلى يا رب.

وعن محارب بن دثار قال: دخلت على ابن عمر رضي الله عنهما بيته وهو يصلي، فإذا هو يبكي في صلاته، فلما انصرف أقبل علي وعلم أني قد رأيته وهو يبكي، فقال: إن هذه الشمس لتبكي من خشية الله، ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا. (٢)

وعن ابن أبي مليكة قال: قرأ ابن عمر رضي الله عنهما {ويل للمطففين } فلما أتى على هذه الآية {يوم يقوم الناس لرب العالمين}بكى حتى انقطع عن قراءة ما بعدها. (٣)

وقال رضي الله عنه: لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار.

وكان ابن عمر، إذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة، وأخّر ليلة صلاة المغرب، حتى طلع كوكبان، فأعتق رقبتين!. (٤)

عبد الله بن عباس

---

(١) مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر (ص: ٤٧) وصفة الصفوة (١/ ٢٢٠)

(٢) مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي(ص: ١٤٣)

(٣) مختصر قيام الليل (ص: ١٤٣)

(٤) إحياء علوم الدين (٤/ ٤٠٨)

بدر الأحبار، والبحر الزَّخار، دعا له النَّبِيّ ﷺ أن يعلمه الله الفقه وتأويل الأخبار.

عن أبي وائلٍ شقيق بن سلمة قَالَ: خطبنا ابن عباس وهو أمير على الموسم، فافتتح سورة النُّور، فجعل يقرأ ويفسر، فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثل هذا، لو سمعته فارس والرُّوم والترك؛ لأسلمت. (١)

وعن ابن أبي مُليكة قَالَ: صَحِبت ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان إذا نزل قام شطر الليل، فسأله أيوب السَّخْتِياني كيف كانت قراءته؟ قَالَ قَرَأ: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ} [سورة ق: ١٩] فجعل يرتل، ويكثر في ذلك النَّشيج. (٢)

وعن أبي رجاء العطاردي قال: رأيت ابن عباس وأسفل من عينيه مثل الشراك البالي من الدموع. (٣)

- **عائشة** رضي الله عنها

الصِّديقة بنت الصديق، أفقه نساء الأمة على الإطلاق، المبرأة من فوق سبع سماوات

بعث ابن الزبير بثمانين ومائة ألف إلى عائشة رضي الله عنها فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة، فجلست تقسمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست قالت: يا جارية هلمي فطري، فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها الجارية: أما استطعت مما قسمت اليوم أن نشتري لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه؟ فقالت لها: لا تعنفيني، لو كنت ذكرتيني لفعلت. (٤)

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٣/ ٣٥١)

(٢) صفة الصفوة (١/ ٢٩٨)

(٣) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ١٢٠)

(٤) الزهد لهناد بن السري (١/ ٣٣٧)

فرحم الله أم المؤمنين، وقد امتلأ قلبها بالإيمان وحب الرحمن، حتى نسيت إلى جنب ذلك نفسها وهي صائمة.

وعن عروة بن الزبير قَالَ: لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفًا، وهي ترقع درعها. (١)

وعن القاسم بن محمد قال: كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها. فغدوت يوماً فإذا هي قائمة تصلي سبحة الضحى وتقرأ: {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ} [الطور: ٢٧] وتدعو وتبكي وترددها. فقمت حتى مللت القيام فذهبت الى السوق لحاجتي ثم رجعت فاذا هي قائمة كما هي، تصلي وتبكي. (٢)

وقرأت عائشة رضي الله عنها في الصلاة {فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم} [الطور: ٢٧] فبكت، ثم قالت: اللهم مُنَّ عليَّ وقني عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم. (٣)

أبو الدرداء عويمر بن عامر الأنصاري

قال أبو الدرداء: لولا ثلاث ما أحببت العيش يوما واحدا الظمأ لله بالهواجر والسجود لله في جوف الليل ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب الثمر. (٤)

قيل لأبي الدرداء – وكان لا يفتر من الذكر –: كم تسبح في كل يوم؟

قال: مائة ألف، إلا أن تخطئ الأصابع. (٥)

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٣١٨)

(٢) صفة الصفوة (١/ ٣١٩)

(٣) مختصر قيام الليل(ص: ١٤٤)

(٤) إحياء علوم الدين (٤/ ٤٠٩)

(٥) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢/ ٣٤٨)

قالت أم الدرداء: لما احتضر أبو الدرداء، جعل يقول: من يعمل لمثل يومي هذا، من يعمل لمثل مضجعي هذا. (١)

خير خلف لخير سلف

-أويس القرني

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ، يقول: ((يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد، ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه، إلا موضع درهم له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل)). (٢)

كان أويس القرني إذا أمسى يقول: هذه ليلة الركوع فيركع حتى يصبح، وكان يقول إذا أمسى: هذه ليلة السجود فيسجد حتى يصبح، وكان إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب ثم يقول: اللهم من مات جوعا فلا تؤاخذني به ومن مات عريانا فلا تؤاخذني به. (٣)

عمر بن عبد العزيز

أمير المؤمنين كان أوحد أهل زمانه في الفضل، ونجيب عشيرته في العدل، جمع زهدًا وعفافًا وورعًا وكفافًا، شغله آجل العيش عن عاجله، كان للرعية أمنًا وأمانًا، كان عالِمًا عابدًا مفهمًا حكيمًا.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢/ ٣٥٢)

(٢) رواه مسلم (٢٥٤٢)

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٨٧)

قال مالك بن دينار: الناس يقولون عني زاهد، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها. (١)

عن جويرية بن أسماء قَالَ: قَالَ عُمَرُ: إِنَّ نَفْسِي هَذَه تَوّاقة، لم تعط من الدنيا شيئًا إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه، فلمّا أُعطيت الخلافة التي لا شيء أفضل منها، تاقت إلى ما هو أفضل منها! ! أي – الجنة أفضل من الخلافة. (٢)

وكان – رحمه الله – قد اجتهد بالعبادة حتى أصبح لا يُغالَب عليها.

وقالت فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز: أنها دخلت عليه فإذا هو في مُصَلاّه يده على خده سائلة دموعه: فقالت: يا أمير المؤمنين أشيء حدث؟! قَالَ: يا فاطمة إني تقلَّدت أمر أمة محمد ﷺ فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضَّائع، والعاري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، والكبير، وذي العيال في أقطار الأرض، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ فخشيت ألا تثبت لي حجة عند خصومته! فرحمت نفسي؛ فبكيت. (٣)

وعن عمرو بن مهاجر قَالَ: اشْتَهَى عمر تفاحًا، فقال: لو أن عندنا شيئا من تفاح، فإنه طيب، فقام رجل من أهله فأهدى إليه تفاحًا، فلمّا جاء به الرَّسول، قَالَ: ما أطيبه وأطيب ريحه وأحسنه، ارفع يا غلام واقرأ على فلان السَّلام، وقل له: إن هديتك قد وقعت عندنا بحيث تحب، قَالَ عمرو بن مهاجر: فقلت له يا أمير المؤمنين: ابن عمك

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٥/ ١٣٤)

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٣٣١)

(٣) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٥/ ١٣١)

رجل من أهل بيتك، وقد **بلغك أن النَّبِيّ ﷺ كان يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، قَالَ: إِنَّ الهدية كانت للنبي ﷺ هدية، وهي لنا رِشْوَة.** (١)

قالت فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز: إنه قد يكون في النَّاس من هو أكثر صلاة وصيامًا من عمر بن عبد العزيز، وما رأيت أحدا أشد فرقا من ربه منه، كان إذا صلى العشاء قعد في مسجده؛ ثم يرفع يديه فلم يزل يبكي حتى تغلبه عينه، ثم يتنبه فلا يزال يدعو رافعًا يديه يبكي حتى تغلبه عينه، يفعل ذلك ليله أجمع. (٢)

قَالَ الذَّهبي: قد كان هذا الرجل حسن الخلق والخلق، كامل العقل حسن السَّمت جيد السِّياسة، حريصًا على العدل بكل ممكن، وافر العلم فقيه النفس ظاهر الذكاء والفهم، أواهًا منيبًا قانتًا لله حنيفًا زاهدًا مع الخلافة، ناطقًا بالحق مع قِلَّة المعين وكثرة الأمراء الظَّلمة الَّذين ملُّوه، وكرهوا محاققته لهم، ونقصه أعطياتهم، وأخذه كثيرًا مما في أيديهم مما أخذوه بغير حق، فما زالوا به حتى سَقوه السُّم، فحصلت له الشَّهادة والسَّعادة، وعد عند أهل العلم من الخلفاء الرّاشدين، والعلماء العاملين. (٣)

أبو مسلم الخولاني

ما ظنك برجل يقول عن نفسه: لو رأيت الجنة عيانًا ما كان عندي مستزاد، ولو رأيت النار عيانًا ما كان عندي مستزاد. (٤)

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٢٩٤)

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٢٤٢)

(٣) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٥/ ١٢٠)

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ١٢٧)

وكان أبو مسلم الخولاني قد علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه: قومي فوالله لأزحفن بك زحفا حتى يكون الكلل منك لا منى! فإذا دخلت الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول: أنت أولى بالضرب من دابتي! وكان يقول: أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا به دوننا كلا والله لنزاحمهم عليه زحاما حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالا. (١)

سليمان التيمي

عن حماد بن سلمة قال: ما أتينا سليمان التيمي في ساعة يُطاع الله عزَّ وجل فيها إلاَّ وجدناه مطيعًا، إن كان في ساعة صلاة وجدناه مصليًا، وإن لم تكن ساعة صلاة وجدناه إمَّا متوضئًا، أو عائدًا، أو مشيعًا لجنازة، أو قاعدًا في المسجد، قال: فكنا نرى أنه لا يحسن يعصي الله عز وجل. (٢)

الربيع بن خثيم

كانت ابنة الربيع بن خثيم تقول له: يا أبت مالي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟ فيقول: يا ابنتاه إنَ أباك يخاف البيات.

ولما رأت أم الربيع بن خثيم ما يلقى الربيع من البكاء والسهر، نادته: يا بني لعلك قتلتَ قتيلاً؟! قال: نعم يا أماه! قالت: فمن هو حتى نطلب أهله فيعفوا عنك؟ فوالله لو يعلمون ما أنت فيه لرحموك، وعفوا عنك! فيقول: يا أماه هي نفسي!. (٣)

ثابت البناني

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٤١١)

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢٨)

(٣) إحياء علوم الدين (٤/ ٤١٠)

ما ظنك برجل يقول عن مشايخه: أدركت رجالا كان أحدهم يصلى فيعجز عن أن يأتي فراشه إلا حبوا. (١)

قال ثابت البناني: كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة. فكنت أدخل في الصَّلاة فأحمل همَّ خروجي منها ويضيق صدري إذا فرغت لأني خارج منها. (٢)

تقول ابنته: كان أبي يقوم الليل خمسين سنة فإذا كان السحر قال في دعائه: اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها. (٣)

حماد بن سلمة

قال عبد الرحمن بن مهدي: لو قيل لحماد بن سلمة إنك تموت غدا ما قدر أن يزيد في العمل شيئا. (٤)

قال عفان بن مسلم: قد رأيت من هو أعبد من حماد بن سلمة، لكن ما رأيت أشد مواظبة على الخير، وقراءة القرآن، والعمل لله -تعالى- منه.

قال موسى بن إسماعيل التبوذكي: لو قلت لكم: إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكا، لصدقت، كان مشغولا، إما أن يحدث، أو يقرأ، أو يسبح، أو يصلي، قد قسم النهار على ذلك. (٥)

فتشبهوا أن لم تكونوا مثلهم. . . إنَّ التشبه بالكرامِ فلاحُ

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٤١١)

(٢) صفة الصفوة (٢/ ١٥٤)

(٣) صفة الصفوة (٢/ ١٥٥)

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٢٥٠)

(٥) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٧/ ٤٤٧)

رجلٌ حيزت له الدنيا

هل سمعتم برجل ملَكَ الدنيا بحذافيرها؟ رجل جُمعت له أسباب السعادة الدنيوية؟ هل رأيتم رجلا مَلَك أركان النعيم الدنيوي؟ إنه أغنى إنسان في العالم! مَنْ يا تُرى هذا الرجل؟ يخبرنا عنه رسول الله ﷺ، كما في حديث **عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الخَطْمِيِّ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)). (١)

قال المناوي: من جمع الله له بين عافية بدنه وأمن قلبه حيث توجه وكفاف عيشه بقوت يومه وسلامة أهله فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها فينبغي أن لا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها بأن يصرفها في طاعة المنعم لا في معصية ولا يفتر عن ذكره.

إذا ما كساك الدهرُ ثوبَ مصحَّةٍ ولم يخل من قوت يُحَلَّى ويَعذُب

فلا تغبطنّ المترَفين فإنه على حسب ما يعطيهم الدهر يسلب(٢)

ففي هذا الحديث التذكير بنعم اعتاد على وفرتها أكثر الناس؛ حتى أصبحوا لا يكادون يشعرون بقيمتها، فهي كما يقال: أهون موجود، وأعز مفقود، و هذه النعم التي تضمنها حديثه ﷺ هي أصول النعم التي لا يمكن أن يهنأ عيش الإنسان إلا بها.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٤٤)

(٢) فيض القدير للمناوي (٦/ ٦٨)

سأل رجلٌ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ: أَلَكَ امْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَلَكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنْتَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ، قَالَ: فَإِنَّ لِي خَادِمًا، قَالَ: فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ. (١)

ولذلك قال بعض الحكماء لما سئل: ما النعيم؟ قال: الغنى، فإني رأيت الفقير لا عيش له، قال: زدنا؟ قال: الأمن، فإني رأيت الخائف لا عيش له، يعني حتى لو كان غنيا، قال: زدنا؟ قال: العافية، فإني رأيت المريض لا عيش له، أي حتى لو كان آمنا. (٢)

-نِعمُ الله لا تعد ولا تحصى

فنعم الله الخفية التي لا يُلقي لها العبد بالا ربما تكون كالنعم الظاهرة وأعظم قال تعالى: { وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} [لقمان: ٢٠]

وقال الله تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل: ١٨]

قال ابن كثير رحمه الله: يخبر عن عجز العباد عن تعداد النعم فضلا عن القيام بشكرها، كما قال **طلق بن حبيب**، رحمه الله: إن حق الله أثقل من أن يقوم به العباد، وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أصبحوا توابين وامسوا توابين. (٣) **لذلك كان رسول** الله ﷺ يقول: ((اللهم لك الحمد غير مكفي ولا مودع، ولا مستغنى عنه ربنا)). (٤)

- أركان النعيم الدنيوي

---

(١) رواه مسلم (٢٩٧٩)

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ١٠٤)

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة (٤/ ٥١١)

(٤) رواه البخاري (٥٤٥٨) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

- أول أركان النعيم الدنيوي: نعمة الأمن في النفس والأهل والمال والوطن

إذا عَمَّ الأمنُ البلادَ، وألقى بظلِّه على الناس، أَمِنَ الناس على دينهم، وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم ومحارمهم، ولو كتَب الله الأمن على أهل بلد من البلاد، سارَ الناس ليلاً ونهارًا لا يخشَوْن إلا الله.

لذلك بدأ ﷺ بقوله: آمنًا في سربه، والمعنى: آمنا في نفسه وأهله وعرضه وعياله ومسكنه وطريقه وبلاده، والأمن نعمة عظيمة لا يشعر بقيمتها كثير من الناس، لذلك أودُّ أن أُبرز بعضا من أهميتها من الجهة الشرعية ثم من الجهة الواقعية الملموسة حتى نشعر بقدر هذه النعمة

- أولا من الجهة الشرعية

- فقد امتن الله على رسوله وأصحابه بنعمة الأمن في كتابه والأمة تبع لهم فقال تعالى {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الأنفال: ٢٦] فتأمل كيف قدّم الله عز وجل في الامتنان ذكر المأوى الذي هو محل الأمن قبل رزق الطيبات لتعلم قدر هذه النعمة

- وامتن الله عز وجل أيضا على أهل مكة الذين تعللوا لكفرهم برسالة النبي ﷺ أنهم يخافون أن يتخطفهم الناس، فبيَّن الله كذبهم لأنه سبحانه ضمن لهم أمن بلادهم وبسبب هذا الأمن الذي ضمنه الله لمكة صارت تجبى إليه الثمرات من كل مكان مع أنه بلد قليل الزرع، فقال تعالى: {وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [القصص: ٥٧]

وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ} [العنكبوت: ٦٧]

ولما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة بدأ أولا بالأمن ثم بالرزق الذي هو الطعام والشراب مع شدة حاجة مكة في ذلك الوقت للطعام والشراب {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [البقرة: ١٢٦]

فبدأ بالأمن قبل الرزق لسببين: الأول: لأن استتباب الأمن سبب للرزق، فإذا شاع الأمن واستتبَّ ضرب الناس في الأرض، وهذا مما يدر عليهم رزق ربهم ويفتح أبوابه، ولا يكون ذلك إذا فُقد الأمن.

الثاني: لأنه لا يطيب طعام ولا يُنتفع بنعمة رزق إذا فقد الأمن. فمن من الناس أحاط به الخوف من كل مكان، وتبدد الأمن من حياته ثم وجد لذة بمشروب أو مطعوم؟!

أما من الجهة الواقعية:

الأمن من أعظم نعم الله على عباده بعد نعمة الإيمان والإسلام، ولا يشعر بهذه النعمة إلا من فقدها، كالذين يعيشون في البلاد التي يختل فيها النظام والأمن، أو الذين عاصروا الحروب الطاحنة التي تهلك الحرث والنسل، فهم ينامون على أزيز الطائرات وأصوات المدافع، ويضع الواحد منهم يده على قلبه ينتظر الموت في أي لحظة، لا يأمن على نفسه في بيته ولا في شارعه ولا في عمله، وكذلك لا يأمن على أهله وأولاده داخل البيت وخارجه

- **سئل بعض العلماء الأمن أفضل أم الصحة؟** فقال: الأمن أفضل، والدليل عليه أن شاة لو انكسرت رجلها فإنها تصح بعد زمان، ثم إنها تقبل على الرعي والأكل ولو أنها ربطت في موضع وربط بالقرب منها ذئب فإنها تمسك عن العلف ولا تتناوله إلى أن تموت وذلك يدل على أن الضرر الحاصل من الخوف أشد من الضرر الحاصل من ألم الجسد. [١]

---

(١) تفسير الرازي (١٩/ ١٠٤)

أعظم أسباب تحقيق الأمن

- تحقيق الإيمان وتجريد العبودية لله

قال تعالى: {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام ٨١: ٨٢]

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: لما نزلت { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } [الأنعام: ٨٢] إيمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ((ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه { يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [لقمان: ١٣])). (١)

وقال تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [يونس: ٦٢ - ٦٤]

قال ابن القيم رحمه الله: التوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين. (٢)

وقد وعد الله المؤمنين بالأمن إن حققوا التوحيد وأخلصوا الإيمان، وعملوا الصالحات، قال تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [النور: ٥٥]

---

(١) رواه البخاري (٣٤٢٩)

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٥)

- أعظم ما يزيل الأمن وينزل النقم كفران نعم الله

لقد أَنْعَم الله على كثيرٍ من الأُمَم بنِعْمَة الأمن، لكنهم لما كَفَرُوا بنعمة الله، وأعْرَضُوا عن شرع الله؛ عاقَبَهُم الله، فبَدَّلَ أمنهم خوفًا، فلا تسلْ عما يحلُّ بهم بعد ذلك؛ يقول سبحانه: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل: ١١٢]

فدوام النِّعَم وشُكْرها مقترنان؛ فكُفْرُ النِّعمة يعرضها للزوَال، وشُكرها يطيل أمَد البقاء، فالذنوبُ مُزِيلَةٌ للنِّعَم، وبها تحل النِّقَم؛ قال سبحانه: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [الأنفال: ٥٣]

- الركن الثاني من أركان النعيم الدنيوي: نعمة العافية

ومعنى الْعَافِيَة: جَمِيع مَا يَدْفَعهُ الله عَن العَبد من البلايا كائنة مَا كَانَت. (١)

قال المناوي: العافية من أجل نعم الله على عبده وأوفر عطاء وأجل منحة. (٢)

إنِّي وإن كان جمع المال يعجبني ... فليس يعدل عندي صحَّة الجسد

في المال زينٌ وفي الأولاد مكرمةٌ ... والسُّقم ينسيك ذكر المال والولد

عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((لَمْ تُؤْتَوْا شَيْئًا بَعْدَ كَلِمَةِ الْإِخْلاصِ مِثْلَ الْعَافِيَةِ، فَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ)). **وفي لفظ:** ((سَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُعْطَ عَبْدٌ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْعَافِيَةِ)). (١)

---

(١) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني(ص: ٤٥٩)

(٢) فيض القدير (٦/ ٣٦١)

يقول ابن الجوزي: السعيد من ذلَّ لله، وسأل العافية؛ فإنه لا يوهب العافية على الإطلاق؛ إذ لا بد من بلاء، ولا يزال العاقل يسأل العافية. (٢)

وعَنْ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: ((سَلِ اللَّهَ العَافِيَةَ))، فَمَكَثْتُ أَيَّامًا ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ، فَقَالَ لِي: ((يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِ اللَّهَ، العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)). (٣)

قال الشوكاني: فلينظر العاقل مقدار هذه الكلمة التي أختارها رسول الله ﷺ لعمه من دون الكلم وليؤمن بأنه ﷺ أعطي جوامع الكلم واختصرت له الحكم فإن من أعطي العافية فاز بما يرجوه ويحبه قلبا وقالبا ودينا ودنيا ووقي ما يخافه في الدارين علما يقينا فلقد تواتر عنه ﷺ دعاؤه بالعافية وورد عنه ﷺ لفظا ومعنى من نحو خمسين طريقا. (٤)

قال المباركفوري: وفي أمره ﷺ للعباس بالدعاء بالعافية بعد تكرير العباس سؤاله بأن يعلمه شيئا يسأل الله به، دليل جلي بأن الدعاء بالعافية لا يساويه شيء من الأدعية ولا يقوم مقامه شيء من الكلام الذي يدعى به ذو الجلال والإكرام. (٥)

ولذلك نجد النبي ﷺ يسأل ربه صباحا ومساء العافية في دينه ودنياه ونفسه وأهله وماله، وأمر أصحابه بذلك، فقد صح في السنن من **حديث ابْنَ عُمَرَ** رضي الله عنهما، قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ، حِينَ يُمْسِي، وَحِينَ يُصْبِحُ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي

---

(١) رواه أحمد (١/ ٤) و(١/ ٨) وصححه لغيره محققوا المسند

(٢) صيد الخاطر (ص: ٢٣٤)

(٣) رواه الترمذي (٣٥١٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣١٤)

(٤) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين (ص: ٤٦٢)

(٥) تحفة الأحوذي (٩/ ٣٤٨)

أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي)) (١)

هكذا كان النبي ﷺ يصبح ويمسي، يقول هذه الدعوات: يقولها النبي ﷺ ليل نهار.

وعلمنا النبي ﷺ **إذا استيقظنا من نومنا أول ما نتكلم بحمد الله على نعمة العافية، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((إِذَا اسْتَيْقَظَ أحدكم من نومه فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ)). (٢)

وأعظم العافية العافية في الدين، كما قال عبد الله بن مسعود: إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسما وأمرضهم قلبا، وتلقون المؤمن من أصح الناس قلبا وأمرضهم جسما، وايم الله، لو مرضت قلوبكم، وصحت أجسامكم، لكنتم أهون على الله من الجعلان. (٣)

أما من الجهة الواقعية:

زيارة واحدة إلى مستشفيات المسلمين بنية الزيارة والاعتبار، ورؤية ما ابتلي به إخواننا من الأمراض الخطيرة -عافانا الله وإياكم- التي يصعب على الطب الحديث علاج بعضها، يجعلنا نعرف قيمة هذه النعمة، أمراضٌ خطيرة علمنا رسول الله ﷺ أن نكثر الاستعاذة منها **عَنْ أَنَسٍ** رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ، وَالجُنُونِ، وَالجُذَامِ، وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ)). (٤)

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٧٤) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٣٠)

(٢) رواه الترمذي (٣٤٠١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٢١)

(٣) الزهد لهناد بن السري (١/ ٢٤٧)

(٤) رواه أبو داود (١٥٥٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٧٥)

لذلك كان مطرف بن عبد الله بن الشخير، يقول: لأن أعافى فأشكر، أحب إلي من أن ابتلى فأصبر. (١)

- **شكا بعضهم فقره إلى بعض أرباب البصائر** وأظهر شدة اغتمامه به، فقال له: أيسرُّك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا. فقال: أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال لا. فقال: أيسرك أن أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفاً؟ فقال لا. فقال: أيسرك أنك مجنون ولك عشر آلاف درهم؟ فقال: لا. فقال: أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفاً. (٢)

حفظ نعمة العافية

لما كانت الصحة والعافية من أجلّ نعم الله على عبده وأجزل عطاياه وأوفر منحه بل العافية المطلقة أجل النعم على الإطلاق، فحقيق لمن رزق حظا من التوفيق مراعاتها وحفظها وحمايتها عما يضادها، وقد أخبر النبي ﷺ أن الكثير من الناس مفرط ومغبون في هذه النعمة، **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ)). (٣)

قال ابن الجوزي: قد يكون الإنسان صحيحا ولا يكون متفرّغا لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحا، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطّاعة فهو المغبون، وتمام ذلك الدّنيا مزرعة الآخرة، وفيها التّجارة الّتي يظهر ربحها في الآخرة، فمن

---

(١) الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (ص: ١٢٧)

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ١٢٤)

(٣) رواه البخاري (٦٤١٢)

استعمل فراغه وصحّته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون، لأنّ الفراغ يعقبه الشّغل، والصّحّة يعقبها السّقم ولو لم يكن إلّا الهرم لكفى. (١)

- من سره أن تدوم له العافية فليتق الله في السر والعلانية. (٢)

كما أرشد النبي ﷺ أمته إلى اغتنام الصحة قبل المرض؛ **ففي حديث ابن عباس،** قال ﷺ: ((اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك)). (٣)

وكان ابن عمر رضي الله عنهما: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك. (٤)

- الركن الثالث من أركان النعيم الدنيوي: نعمة القوت

ملكُ قوت اليوم الواحد – وليس قوت الشهر والسنة – من أصول النعم، ومن أركان النعيم الدنيوي وذلك لأمور منها:

١- أنه ليس للإنسان من ماله إلا ما أخبر عنه النبي ﷺ كما في حديث **عبد الله بن الشخير** رضي الله عنه، قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ألهاكم التكاثر، قال: ((يقول ابن آدم: مالي، مالي، قال: وهل لك، يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟)). (٥)

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٣٠)

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٤٤١)

(٣) رواه الحاكم (٤/ ٣٤١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٤٤)

(٤) رواه البخاري (٦٤١٦)

(٥) رواه مسلم (٢٩٥٨)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: ((يقول العبد: مالي، مالي، إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب، وتاركه للناس)). (١)

٢- **كم من إنسان لا يجد قوت يومه،** وحال إخواننا في الصومال وأفريقيا خير شاهد، لذلك ينبغي لنا أن ننظر دائما – في أمور الدنيا – إلى من هو أسفل منا حتى لا نزدري نعم الله علينا

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم)). (٢) **وفي لفظ لمسلم** أيضا: ((إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه)).

والمسلم يدور حاله بين الرضا والشكر في السراء والضراء، عن صهيب الرومي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له)). (٣)

وما هلك مَن هلك إلا بالاعتراض على قدر الله والسخط على قضاءه، عَن عَبْد الواحد بْن زيد قَالَ قلت للحسن: يا أبا سَعِيد من أين أُتي هذا الخلق؟ قَالَ: من قلة الرضا عَن اللَّه! قلت: ومن أين أُوتى قلة الرضا عَن اللَّه؟ قَالَ: من قلة المعرفة بالله. (٤)

---

(١) رواه مسلم (٢٩٥٩)

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٣)

(٣) رواه مسلم (٢٩٩٩)

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٦٠)

جاع ابن الراوندي (الضال) يومًا، واشتد جوعه، فجلس على الجسر وقد آلمه الجوع، فمرت خيل مزينة بالحرير والديباج، فقال: لمن هذه؟ فقالوا: لعلي بن بلتق غلام الخليفة. فمرت جوار مستحسنات، فقال: لمن هذه؟ فقالوا: لعلي بن بلتق، فمر به رجل، فرآه وعليه أثر الضر، فرمى إليه رغيفين، فأخذهما، ورمى بهما، وقال: كل هذا لعلي بن بلتق، وهذان لي؟! وظل جائعا معترضا على قدر الله وساخطا لقضائه. (١)

فاجتمعت فيه خصال الحسد والغل وعدم الرضا بما قسمه الله فختم الله على قلبه فبعد أن كان من أهل السنة انتقل إلى المعتزلة ثم صار رافضيا ثم صار ملحدا ومات على ذلك.

تقنَّع بما يكفيك والتمس الرِّضا ... فإنَّك لا تدري أتصبح أم تمسي

فليس الغنى عن كثرة المال إنَّما ... يكون الغنى والفقر من قبل النَّفس

لذلك كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من الفقر لأنه ربما يودي بالإنسان إلى الكفر، كما في حديث أبي بَكرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يَقُولُ فِي دُبُرِ الصَّلاَةِ: ((اللَّهُمَّ إِنِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ)). (٢) **وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،** قَالَ: كَانَ رَسُولُ ﷺ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ)). (٣)

من النعم التي لا يعرف قدرها كثير من الناس نعمة الماء

الماء نعمة تعدل الحياة، إذا فقد الإنسان الماء لم يرغب في شيء إلا الماء وحده دون غيره.

---

(١) صيد الخاطر (ص: ٤٧٩)

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٦) والنسائي (٣/ ٧٣) وصححه الألباني في إرواء الغليل (٣/ ٣٥٦)

(٣) رواه أبو داود (١٥٤٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٧٥)

نعمة الماء، نعمة عظيمة، وهو أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم؛ **فعن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ - يَعْنِي العَبْدَ مِنَ النَّعِيمِ - أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيَكَ مِنَ المَاءِ البَارِدِ)). (١)

ودخل ابن السماك على هارون الرشيد يوما، فبينا هو عنده إذ استسقى ماء، فأتى بقلة من ماء، فلما أهوى بها إلى فيه ليشربها، قال له ابن السماك: على رسلك يا أمير المؤمنين، أسألك بالله لو منعت هذه الشربة فبكم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكي، قال: اشرب هنأك الله، فلما شربها، قال له: يا أمير المؤمنين أسألك بالله، لو منعت خروجها من بدنك، فبماذا كنت تشتريها؟ قال: بجميع ملكي، قال ابن السماك: إن ملكا قيمته شربة ماء، لجدير ألا ينافس فيه فبكى هارون. (٢)

-التذكير بحال النبي ﷺ وأصحابه

يا من ترفل في النعم اسمع إلى حال سيد البشر لتشكر ربك وتعتبر

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا{كَفَافًا}". (٣)

حاله في بيته

- عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلاَثَ لَيَالٍ تِبَاعًا، حَتَّى قُبِضَ. (٤) **وفي لفظ**{ مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، حَتَّى قُبِضَ }. (١)

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٥٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٤٠٦)

(٢) تاريخ الطبري (٨/ ٣٥٧)

(٣) رواه البخاري (٦٤٦٠) ومسلم (١٠٥٥)

(٤) رواه البخاري (٥٤١٦) ومسلم (٢٩٧٠)

- **عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ،** أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: وَاللهِ يَا ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلاَلِ، ثُمَّ الْهِلاَلِ، ثُمَّ الْهِلاَلِ، ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ، قَالَ: قُلْتُ: يَا خَالَةُ فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ. (٢)

- **وذَكَرَ عُمَرُ** رضي الله عنه مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا، فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي، مَا يَجِدُ دَقَلاً يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ. (٣)

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، بِثَلاَثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ. (٤)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: ((مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟))، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: ((قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ)). (٥)

حاله في العزو

---

(١) رواه مسلم(٢٩٧٠)

(٢) رواه البخاري (٢٥٦٧) ومسلم (٢٩٧٢)

(٣) رواه مسلم (٢٩٧٨)

(٤) رواه البخاري (٢٩١٦)

(٥) رواه مسلم (٢٠٥٤)

عن سَعْد بْن أَبِي وَقَّاصٍ وعتبة بن غزوان، قالا: لَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ نَأْكُلُهُ إِلَّا وَرَقُ الشجر { حتى قرحت أشداقنا } حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ. (١)

وفي حديث جابر رضي الله عنه في قصة حفر الخندق (وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا)) (٢)

-التذكير بالنعيم الباقي

الدنيا دار فانية والآخرة هي الباقية ونعيمها هو النعيم المقيم

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ)). (٣)

هذه هي الدنيا، وتلك هي الآخرة، فأيهما نقدم؟

---

(١) رواه البخاري (٣٧٢٨) من حديث سعد، ورواه مسلم (٢٩٦٧) من حديث عتبة بن غزوان

(٢) رواه البخاري (٤١٠١)

(٣) رواه مسلم (٢٠٥٤)

بيوت الرحمن

المسجد يحتل مرتبةً مميزة ومعظمة في أفئدة المسلمين، تزكو به نفوسُهم، وتطمئن قلوبُهم، وتتآلف أرواحهم وتصفو أذهانُهم، يجتمعون فيه بقلوبٍ عامرةٍ بالإيمان، خاشعة متذللةٍ للخالق الديان فرسالة المسجد شاملة ومتنوعة، تنتظم مجالات مختلفة لنشر القيم الإسلامية، وغرس الآداب والأخلاق الحميدة. (١)

المساجد ومنزلتها في الإسلام

المساجد هي بيوت كرمها الله سبحانه، بل زاد في تكريمها بأن نسبها إلى نفسه سبحانه فقال: { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [الجن: ١٨]

وقال تعالى: { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ } [التوبة: ١٨]

ونهى سبحانه عن السعي في خراب المساجد بمنع الصلاة والذكر فيها فقال: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [البقرة: ١١٤]

ورفع الله عز وجل شأن المساجد وأعظم قدرها، فقال عز من قائل: { فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} [النور: ٣٦]

وهي أحب الأماكن إلى الله تعالى وإلى رسوله وإلى المؤمنين الصالحين، **عن أبي هريرة** رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: ((أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها)). (٢)

---

(١) نقلاً عن كتاب الإرهاب في ميزان الشريعة بقلم الدكتور عادل عبد الجبار

(٢) رواه مسلم (٦٧١)

ثم إن مكانة المسجد في الإسلام لتظهر بجلاء في كون النبي ﷺ لم يستقر به المقام عندما وصل إلى حي بني عمرو بن عوف في قباء، حتى بدأ ببناء مسجد قباء، وهو أول مسجد بُني في المدينة، وأول مسجد بني لعموم الناس. (١) وكذلك عندما واصل ﷺ سيره إلى قلب المدينة كان أول ما قام به تخصيص أرض لبناء مسجده ﷺ.

- عمارة المساجد

يقول الله تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ}[التوبة: ١٨].

والعمارة تشمل أمرين:

الأول: العمارة الهادية: وتكون ببناء المساجد وإعدادها لتقام فيها الصلاة، وقد رغب النبي ﷺ في بناء المساجد وإنشائها، **عن عثمان بن عفان** رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة)). (٢)

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((من بنى مسجدا يذكر الله فيه بنى الله عز وجل له بيتا في الجنة)). (٣)

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((من بنى مسجدا لله كمفحص قطاة، أو أصغر، بنى الله له بيتا في الجنة)). (٤)

---

(١) البداية والنهاية (٤/ ٥١٩)

(٢) رواه البخاري (٤٥٠) ومسلم (٥٣٣)

(٣) رواه النسائي (٢/ ٣١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٥٦)

(٤) رواه ابن ماجه (٧٣٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٥٦) ومفحص القطاة: هو عش الطائر، والمقصود المبالغة في الصغر

الثاني: العمارة الإيمانية: وهي الأصل في العمارة فالمراد بها أداء الصلاة فيها والاعتكافُ وقراءة القرآن وذكر الله، واتخاذها منطلقاً للتوجيه والتربية ونحو ذلك، أما مجرد عمارة المسجد وزخرفتِهِ والتباهي بحسن بنائه وتصميمه مع خلوه من العباد والمصلين فليس مراداً في الشرع كما هو حاصل في كثير من بلاد الإسلام اليوم، ولله درّ القائل:

منائركم علت في كل حيٍّ ومسجدكم من العبّاد خالي

وجلجلة الأذان بكل فجٍّ ولكن أين صوتٌ من بلالِ؟!

- عُمَّار المساجد ومنزلتهم عند الله

في رمضان تتعلق قلوب الناس بالمسجد فيغدون ويروحون إليها طلباً للأجر، فيعمرونها بالصلاة والذكر والقيام وقراءة القرآن طمعا فيما عند الله من أجور وثواب، **عن أبي هريرة** رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: وذكر منهم: ورجل قلبه معلق في المساجد)). (١)

قال الزرقاني: ذلك أنه لما آثر طاعة الله، وغلب عليه حبه صار قلبه ملتفتا إلى المسجد، لا يحب البراح عنه، لوجدانه فيه روح القربة، وحلاوة الطاعة. (٢)

- الضيافة في الجنة تُعدُّ لعمار المساجد مع كل غدو ورواح إلى المساجد

فالسائر إلى المسجد للصلاة يمشي ذهابًا وإيابًا في ضيافة الله، وأكرِم بها من ضيافة تمتلئ منها القلوبُ سكينةً، وتؤوب منها الأرواحُ راضيةً سعيدةً، وتنقلب منها الصدورُ

---

(١) رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١)

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ (٤/ ٥٤٤)

منشرحةً مسرورةً، **عن أبي هريرة** رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، ((من غدا إلى المسجد، أو راح، أعد الله له في الجنة نزلا، كلما غدا، أو راح)). (١)

وليعلم المسلم أنه عندما يكون في المسجد فهو ضيف على الله وزائر لله مستحق لتكريم الله له، فليستحضر هذا الأمر حتى ينال بركته ولا يُحرم أجره، **عن سلمان الفارسي** رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((من توضأ في بيته فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد، فهو زائر الله، وحق على المزور أن يكرم الزائر)). (٢)

- عمار المساجد هم جيران الله

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله لينادي يوم القيامة أين جيراني؟ أين جيراني؟ قال: فتقول الملائكة: ربنا ومَن ينبغي أن يجاورَك؟ فيقول أين عُمَّارُ المساجد)) (٣)

- يفرح الله بهم ويتبشبش لهم

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما تَوطَّنّ رجلٌ مسلم المساجدَ للصلاة والذكر، إلا تبشبش الله به حتى يخرج، كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم، إذا قدم عليهم)). (٤)

---

(١) رواه البخاري (٦٦٢) ومسلم (٦٦٩)

(٢) رواه القاسم بن سلام في كتاب الطهور (ص: ٩٨) والطبراني في الكبير (٦١٣٩) وحسنه الألباني في الصحيحة (٣/ ١٥٧)

(٣) رواه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده (١/ ٢٥١) و جود إسناده الألباني في الصحيحة (٦/ ٥١٢)

(٤) رواه أحمد (٢/ ٣٢٨) وابن ماجه (٨٠٠) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٥١)
قال ابن قتيبة: قوله: يتبشبش، هو من البشاشة. غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٤١٤) وهي صفةٌ فعليةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله عز وجل كما يليق بجلاله، ومن لازم هذه الصفة الفرح والإقبال واللطف والبر والإكرام.
النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٣٠)

- عمار المساجد أهل تزكية الله

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((المسجد بيت كل تقي)). (١)

- فذلكم الرباط فذلكم الرباط

إن مكوثك في المسجد ومجاهدة نفسك على طاعة الله، نوع من المرابطة في سبيل الله، **عن أبي هريرة** رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط)). (٢)

قال ابن رجب: هذا أفضل من الجلوس قبل الصلاة لانتظارها، فإن الجالس لانتظار الصلاة ليؤديها ثم يذهب تقصر مدة انتظاره، بخلاف من صلى صلاة ثم جلس ينتظر أخرى فإن مدته تطول، فإن كان كلما صلى صلاة جلس ينتظر ما بعدها استغرق عمره بالطاعة، وكان ذلك بمنزلة الرباط في سبيل الله عز وجل. (٣)

- رفع الدرجات ومغفرة الذنوب والسيئات

الذهاب إلى المساجد فرصة لرفع الدرجات ومحو السيئات، **عن أبي هريرة** رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من تطهر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة)). (٤)

---

(١) رواه البزار (٢٥٤٦) والطبراني (٦١٤٣) والقضاعي في مسند الشهاب (٧٣) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٣٣٤)

(٢) رواه مسلم (٢٥١)

(٣) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى لابن رجب (ص: ٦٧)

(٤) رواه مسلم (٦٦٦)

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((من توضأ هكذا، ثم خرج إلى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة، غفر له ما خلا من ذنبه)). (١)

- عمار المساجد لا يضيع الله أجرهم ولا يخيب سعيهم

إن قاصد بيت الله للصلاة فيه بنية مخلصة هو في ضمان الله، لا يضيع أجره ولا يخيب سعيه بإذن الله، فيا لها من كرامة ينالها المسلم بمجرد توجهه إلى المسجد، **عن أبي أمامة الباهلي**، عن رسول الله ﷺ قال: ((ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل: وذكر منهم: ورجل راح إلى المسجد، فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة، أو يرده بما نال من أجر وغنيمة)). (٢)

- البشرى بالنور التام يوم القيامة

عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: ((بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة)). (٣)

- يباهي الله تعالى بهم الملائكة

عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: ((ما أجلسكم؟)) قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن به علينا، قال: ((آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟)) قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: ((أما إني لم أستحلفكم تهمةً لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني، أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة)). (٤)

---

(١) رواه مسلم (٢٣٢)

(٢) رواه أبو داود (٢٤٩٤) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٧/ ٢٥٥)

(٣) رواه أبو داود (٥٦١) والترمذي (٢٢٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٤٥)

(٤) رواه مسلم (٢٧٠١)

- دعاء الملائكة لهم

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مجلسه، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يحدث، وأحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه)). (١)

- السلف وعمارة المساجد

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان إذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس حسنا. (٢)

وكان ﷺ يحث أصحابه على ذلك، **عن أنس** رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من صلى الغداة في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة)). (٣)

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: كان رجل لا أعلم رجلا أبعد من المسجد منه، وكان لا تخطئه صلاة، قال: فقيل له: أو قلت له: لو اشتريت حمارا تركبه في الظلماء، وفي الرمضاء، قال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي، فقال رسول الله ﷺ: ((قد جمع الله لك ذلك كله)). (٤)

- **قال ابن جريج**: كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة (٥)

---

(١) رواه البخاري (٦٥٩) ومسلم (٦٤٩)

(٢) رواه مسلم (٦٧٠)

(٣) رواه الترمذي (٥٨٦) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ١١٩٦)

(٤) رواه مسلم (٦٦٣)

(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٠/ ٣٩٢)

- **كان زياد مولى ابن عباس**- أحد العباد الصالحين- يلازم مسجد المدينة فسمعوه يوماً يعاتب نفسه ويقول لها: أين تريدين أن تذهبي! إلى أحسن من هذا المسجد! ! تريدين أن تبصري دار فلان ودار فلان!. (١)

- **قال سعيد بن المسيب**: ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد.

وقال: ما دخل علي وقت الصلاة إلا وقد أخذت أهبتها وأنا إليها مشتاق.

وقال: ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة، وما نظرت في أقفية الناس منذ خمسين سنة، يعني في صلاة الجماعة. (٢)

وقال وكيع بن الجراح: كان الأعمش قريبًا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، واختلفت إليه قريبًا من سنتين، فما رأيته يقضي ركعة. (٣)

- **قال ربيعة بن زيد الدمشقي:** ما أذن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة إلا وأنا في المسجد إلا أن أكون مريضاً أو مسافراً. (٤)

وعن محمد بن سماعة القاضي، قَالَ: مكثت أربعين سنة لم تفتني التكبيرة الأولى إلا يوما واحدا ماتت فيه أمي ففاتتني صلاة واحدة في جماعة، فقمت فصليت خمسا وعشرين صلاة أريد بذلك التضعيف فغلبتني عيني، فأتاني آت، فقال: يا محمد قد صليت خمسة وعشرين صلاة ولكن كيف لك بتأمين الملائكة؟. (٥)

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٩/ ٢٤٠)

(٢) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: ٧٧٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٢١)

(٣) المنتظم لابن الجوزي ٨/ ١١٣. وتاريخ بغداد (١٠/ ٥)

(٤) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: ٧٦٧)

(٥) تاريخ بغداد ت بشار (٣/ ٢٩٨)

- **قال يحيى بن معين:** لم يفت الزوال في المسجد يحيى بن سعيد أربعين سنة. (١)

-آداب حضور المساجد

- **التطيب ولبس أفضل الثياب، قال تعالى:** { يا بني آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ } [الأعراف: ٣١]

- **عدم أكل أو شرب ما له رائحة كريهة** ومنها الثوم والبصل والدخان وكل ما كان مؤذيا للمصلين، **عن جابر بن عبد الله،** عن النبي ﷺ قال: ((من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم)). (٢)

- **استحباب التبكير إلى المساجد**

رغب النبي ﷺ في التبكير إلى المساجد والمسارعة إليها، **عن أبي هريرة:** أن رسول الله ﷺ قال: ((لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه)). (٣)

وعند مسلم: ((لو تعلمون أو يعلمون ما في الصف المقدم لكانت قرعة)). (٤)

- **المشي إلى الصلاة بخشوع وسكينة، عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، وأتوها تمشون وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا)). (٥)

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٢١٧)

(٢) رواه مسلم (٥٦٤)

(٣) رواه البخاري (٦١٥) ومسلم (٤٣٧)

(٤) مسلم (٤٣٩)

(٥) رواه البخاري (٩٠٨) ومسلم (٦٠٢)

- الدعاء عند دخول المساجد وعند الخروج منها: عن أبي حميد، أو عن أبي أسيد، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا دخل أحدكم المسجد، فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج، فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك)). [١] **وعند أبي داود زيادة:** ((إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ ثم ليقل:. . . .)). [٢]

- **وعن عبد الله بن عمرو بن العاص،** عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: ((أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم))، قال: فإذا قال: ذلك قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم. [٣]

- استحباب تقديم الرجل اليمنى عند دخول المسجد، واليسرى عند الخروج منه

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه كان، يقول: من السنة إذا دخلت المسجد أن تبدأ برجلك اليمنى، وإذا خرجت أن تبدأ برجلك اليسرى. [٤]

- أداء تحية المسجد عند الدخول، عن أبي قتادة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: ((إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس)). [٥]

- الحرص على نظافة المسجد والبعد عن كل ما يجلب له الأوساخ والنجاسات، قال الله تعالى: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} [النور: ٣٦]

---

(١) رواه مسلم (٧١٣)

(٢) رواه أبو داود (٤٦٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٥٠)

(٣) رواه أبو داود (٤٦٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع(٢/ ٨٦٠)

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٣٨) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٦٢٦)

(٥) رواه البخاري (٤٤٤) ومسلم (٧١٤)

قال السعدي: يدخل في رفعها، بناؤها، وكنسها، وتنظيفها من النجاسة والأذى، وصونها من المجانين والصبيان الذين لا يتحرزون عن النجاسة، وعن الكافر، وأن تصان عن اللغو فيها، ورفع الأصوات بغير ذكر الله. (١) ولهذا فإن الشرع نهى عن البصاق في المسجد. **عن أنس بن مالك** رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها)). (٢)

وعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: ((عرضت علي أعمال أمتي حسنها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدت في مساوي أعمالها النخاعة تكون في المسجد، لا تدفن)). (٣)

- الحرص على الصلاة إلى السترة، عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا وضع أحدكم بين يديه مثل مؤخرة الرحل فليصل، ولا يبال من مر وراء ذلك))(٤)

ونحن مأمورون برد من يريد أن يقطع صلاتنا، **عن أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس، فأراد أحد أن يجتاز بين يديه، فليدفع في نحره فإن أبى فليقاتله، فإنما هو شيطان)). (٥)

- عدم رفع الصوت في المساجد

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٦٩)

(٢) رواه البخاري (٤١٥) ومسلم (٥٥٢)

(٣) رواه مسلم (٥٥٣)

(٤) رواه مسلم (٤٩٩)

(٥) رواه مسلم (٥٠٥)

عن السائب بن يزيد قال: كنت قائماً في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب. فقال: اذهب فأتني بهذين. فجئته بهما. قال: من أنتما؟ أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف. قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ(١)

- النهي عن قطع الأوقات الطويلة في المسجد في الحديث عن الدنيا

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((سيكون في آخر الزمان قوم يكون حديثهم في مساجدهم ليس لله فيهم حاجة)). (٢) **ويوضحه لفظ عند الطبراني** ((سيكون في آخر الزمان قوم يجلسون في المساجد حلقا حلقا، إمامُهم الدنيا، فلا تجالسوهم؛ فإنه ليس لله فيهم حاجة)). (٣)

- النهي عن الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لعذر

يكره الخروج من المسجد لمن أدركه الأذان وهو فيه، إلا لمن كان عنده عذر يسوغ له الخروج من المسجد، كتجديد وضوءه ونحوه. **عن أبي الشعثاء**، قال: كنا قعودا في المسجد مع أبي هريرة رضي الله عنه، فأذن المؤذن، فقام رجل من المسجد يمشي فأتبعه أبو هريرة بصره حتى خرج من المسجد، فقال أبو هريرة: أما هذا، فقد عصى أبا القاسم ﷺ. (٤)

- توصيات للحريصين على الأجور والدرجات

- التبكير إلى الصلوات المفروضات والحرص على تكبيرة الإحرام والصف الأول

---

(١) رواه البخاري (٤٧٠)

(٢) رواه ابن حبان (٦٧٢٣) وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٩/ ٤١٦)

(٣) رواه الطبراني (١٠٤٥٢)

(٤) رواه مسلم (٦٥٥)

- المحافظة على السنن الرواتب

عن أم حبيبة رضي الله عنها، أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: ((ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعا، غير فريضة، إلا بنى الله له بيتا في الجنة)) (١)

- المحافظة على أذكار انتهاء الصلوات

- المحافظة على أذكار الصباح والمساء بعد صلاتي الفجر والعصر في المسجد

- المحافظة على حضور الدروس العلمية والإيمانية

- المحافظة على الورد اليومي للقرآن في مسجد حيك

إذا صليتَ العصر في رمضان فامكث في المسجد إلى قبيل الإفطار فإنه الوقتُ الذهبي لقراءةِ وردك من القرآن بحضورِ قلبٍ وقلةِ صوارفٍ

محاذير

- اصطحاب الأطفال غير المميزين وجعل المسجد ساحة للصياح ولعب الأولاد

- التشويش على المصلين حتى بالقرآن (فضلا عن أصوات الجوالات)

- التنافس الشديد على الصف الأول إلى حدّ يصل إلى العداوة والبغضاء

- حجز الأمكنة إلا لمن كان داخل المسجد أو خرج لحاجة كوضوء

- التعدي على مكان غيره أو الدخول في مكان لا يتسع له

- تضييع الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان

---

(١) رواه مسلم (٧٢٨)

وأخيرا رسالة للدعاة وأئمة المساجد:

استغلوا إقبال الناس على المساجد في رمضان، فالمساجد أهم وسيلة، وأفضل بقعة ينطلق منها العلماء وطلاب العلم لتوجيه الناس، وتعليمهم وتفقيههم وحل مشكلاتهم، ولذا كان المسجد منذ عهد رسول الله ﷺ والقرون الفاضلة هو المكان الذي يصدر عنه كل أمر ذي بال يهم المسلمين في دينهم ودنياهم وكان العلماء والولاة هم الذين يتصدرون الأمة من خلال المسجد، فعلينا أن نهتم بأمر مساجدنا وأن نعيد لها مكانتها في الأمة ونكون على قدر المسؤولية في تبليغ دعوة ديننا

ملف العدد
قواعد وفوائد في تزكية النفس

أركان الكمال الإنساني

قال ابن القيم رحمه الله: انحصر الكمال الإنساني في هذه المراتب الأربعة

أحدهما: العلم بما جاء به الرسول ﷺ.

والثانية: العمل به.

والثالثة: نشره في الناس ودعوتهم إليه.

والرابعة: صبره وجهاده في أدائه وتنفيذه. الرسالة التبوكية لابن القيم (ص: ٤٤)

ولما كان كمال الإنسان بالعلم النافع، والعمل الصالح، وهما الهُدى ودين الحق، وبتكميله لغيره في هذين الأمرين، كما قال تعالى: {وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر: ١ - ٣] أقسم سبحانه أن كلَّ أحد خاسر إلا من كمل قوته العلمية بالإيمان، وقوته العملية بالعمل الصالح، وكمَّل غيره بالتوصية بالحق والصبر عليه، فالحق هو الإيمان والعمل، ولا يتمان إلا بالصبر عليهما، والتواصي بهما. مدارج السالكين (١/ ٣٠)

مدار العبودية على قاعدتين

العبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها: حب كامل، وذل تام.

ومنشأ هذين القاعدتين على أصلين وهما:

- **مشاهدة المنة:** التي تورث المحبة والحمد والشكر لولي النعم والإحسان

ومطالعة عيب النفس والعمل: التي تورث الذل التام والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت. الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٨) بتصرف

عنوان سعادة العبد ،وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه

- من إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر.

العبد دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاث. الوابل الصيب من الكلم الطيب

على قدر استقامتك على الصراط في الدنيا تكون استقامتك على الصراط في الآخرة

قال ابن القيم رحمه الله: على قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذه الصراط يكون سيره على ذاك الصراط، فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا، حذو القذة بالقذة، جزاء وفاقا {هل تجزون إلا ما كنتم تعملون} [النمل: ٩٠]. مدارج السالكين (١/ ٣٣)

منارات لسالكي طريق الحق

- عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين، وإياك وطريق الباطل، ولا تغتر بكثرة الهالكين. مدارج السالكين (١/ ٤٦)

- كلما استوحشت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق، واحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عمن سواهم، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم، فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك. مدارج السالكين (١/ ٤٦)

- انفرادك في طريق طلبك دليل على صدق الطلب. مدارج السالكين (٢/ ٨)

- قيل للحسن البصري: سَبَقَنا القومُ على خيلٍ دُهمٍ ونحن على حُمُرٍ مُعقَّرة؟! فقال: إن كنت على طريقهم فما أسرع اللحاق بهم. الفوائد لابن القيم (ص: ٤٣)

مجاهدة النفس

قال محمد بن المنكدر: كابدتُ نفسي أربعين سنة حتى استقامت. صفة الصفوة (١/ ٣٧٨) وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥٥)

التوفيق

قيل لحكيم: ما الذي لا يستغني عنه أحد في كل حال، فقال: التوفيق، وأنشد:

إذا لم يكن عون من اللَّه للفتى. . . فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

- لا سبيل لأحد إلى شيء من الفضائل إلا بهداية اللَّه تعالى ورحمته، فهو مبدأ الخيرات ومنتهاها، كما قال تعالى: { أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى }

وخاطب الناس فقال: { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}. الذريعة الى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني (ص: ١١٩)

إياك نعبد

- لا يكون العبد متحققا ب " {إياك نعبد}إلا بأصلين عظيمين:

أحدهما: متابعة الرسول ﷺ.

والثاني: الإخلاص للمعبود. مدارج السالكين (١/ ١٠٤)

متى استقام باطنك استقامت لك الأمور. صيد الخاطر (ص: ٤٤٦)

الأبواب الثلاثة التي يدخل منها الشيطان على الإنسان

الغفلة - والشهوة - والغضب.

ولابد للإنسان من هذه الثلاثة إلا مَن عصم الله. الوابل الصيب (ص: ٦)

رضا الرب

الشوق يحمل المحب على العجلة في رضا المحبوب والمبادرة إليها على الفور ولو كان فيها تلفه {وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}. روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: **٤٣٧**)

خير البر عاجله

قيل لأنوشروان: ما أعظم المصائب عندكم؟ فقال: أن تقدر على المعروف ولا تصطنعه حتى يفوت. أدب الدنيا والدين (ص: **٢٠٢**)

أعظم المصائب قساوة القلب. سير أعلام النبلاء (**٩/ ٢٨٤**)

شجرة المحبة

شجرة المحبة تحتاج إلى تربية في تربة طيبة تسقى بماء الخلوة من دولاب الفكرة. صيد الخاطر (ص: **٥٣**)

إذا غرست شجرة المحبة في القلب، وسقيت بماء الإخلاص، ومتابعة الحبيب، أثمرت أنواع الثمار. وآتت أكلها كل حين بإذن ربها. أصلها ثابت في قرار القلب. وفرعها متصل بسدرة المنتهى؛ لا يزال سعي المحب صاعدا إلى حبيبه لا يحجبه دونه شيء {إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه} [فاطر: ١٠]. مدارج السالكين (**٣/ ١١**)

مقامات

أنين المذنبين أحب إليه من زجل المسبحين

لأن زجل المسبحين ربما شابه العجب الافتخار، وأنين المذنبين يزينه الانكسار والافتقار. لطائف المعارف لابن رجب (ص: **٢١**)

- لو قام المذنبون في هذه الأسحار على أقدام الانكسار ورفعوا قصص الاعتذار مضمونها: {يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ

وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا} [يوسف: ٨٨] لبرز لهم التوقيع عليها: {لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: ٩٢]. لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٠٥)

- مُدَّ إليه يد الاعتذار وقم على بابه بالذل والانكسار وارفع قصة ندمك مرقومة على صحيفة خدك بمداد الدموع الغزار وقل: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف: ٢٣]. لطائف المعارف (ص: ٢٨٥)

- إِذا جن اللَّيْل فسيروا فِي بوادي الدجى وانيخوا بوادي الذل واجلسوا فِي كسر الانكسار فَإِذا فتح الباب للواصلين دونكم فاهجموا هجوم الْكَذَّابين وابسطوا كف {وَتصدق علينا} لَعَلَّ هَاتِف الْقبُول يقول {لَا تَثْرِيب عَلَيْكُم الْيَوْم}. المدهش (ص: ٤٨٤)

- يَا نَادِمًا عَلَى الذُّنُوبِ أَيْنَ أَثَرُ نَدَمِكَ، أَيْنَ بُكَاؤُكَ عَلَى زَلَّةِ قَدَمِكَ، أَيْنَ حذرك من أليم الْعِقَابِ، أَيْنَ قَلَقُكَ مِنْ خَوْفِ الْعِتَابِ، أَتَعْتَقِدُ أَنَّ التَّوْبَةَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، إِنَّمَا التَّوْبَةُ نَارٌ تَحْرِقُ الإنسانَ. جَرِّدْ قَلْبَكَ مِنَ الأَقْذَارِ، ثُمَّ أَلْبِسْهُ الاعْتِذَارَ، ثُمَّ حَلِّهِ حُلَّةَ الانْكِسَارِ، ثُمَّ أَقِمْهُ عَلَى بَابِ الدَّارِ. التبصرة لابن الجوزي (١/ ٣٧١)

- إذا وضع الله عدله على عبد لم تبق له حسنة وإذا بسط فضله على عبد لم تبق له سيئة. لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٦٠)

علامات

متى رأيت نفسك تهرب من الأنس به إلى الأنس بالخلق ومن الخلوة مع الله إلى الخلوة مع الأغيار فاعلم أنك لا تصلح له.

ومتى رأيته يستزيد غيرك وأنت لا تطلب ويستدني سواك وأنت لا تقرب. فإن تحركت لك قدم في الزيارة تخلف قلبك في المنزل فاعلم أنه الحجاب والعذاب. بدائع الفوائد (٣/ ٢٢٤)

أسس الإصلاح

أحدها: محاسبة النفس، حتى تعرف ما لها وما عليها. ولا يدعها تسترسل في الحقوق استرسالا، فيضيعها ويهملها.

فإن زكاتها وطهارتها موقوف على محاسبتها. فلا تزكو ولا تطهر ولا تصلح ألبتة إلا بمحاسبتها.

قال الحسن رضي الله عنه: إن المؤمن – والله – لا تراه إلا قائما على نفسه: ما أردت بكلمة كذا؟ ما أردت بأكلة؟ ما أردت بمدخل كذا ومخرج كذا؟ ما أردت بهذا؟ ما لي ولهذا؟ والله لا أعود إلى هذا.

فبمحاسبتها يطلع على عيوبها ونقائصها. فيمكنه السعي في إصلاحها.

الثاني: ملاطفة الخلق. وهي معاملتهم بما يحب أن يعاملوه به من اللطف. ولا يعاملهم بالعنف والشدة والغلظة. فإن ذلك ينفرهم عنه. ويغريهم به. ويفسد عليه قلبه وحاله مع الله ووقته، فليس للقلب أنفع من معاملة الناس باللطف. فإن معاملة الناس بذلك: إما أجنبي. فتكسب مودته ومحبته، وإما صاحب وحبيب فتستديم صحبته ومودته. وإما عدو ومبغض. فتطفئ بلطفك جمرته. وتستكفي شره. ويكون احتمالك لمضض لطفك به دون احتمالك لضرر ما ينالك من الغلظة عليه والعنف به.

الثالث: مراقبة الحق سبحانه. وهي الموجبة لكل صلاح وخير عاجل وآجل. ولا تصح الدرجتان الأولتان إلا بهذه. وهي المقصود لذاته. وما قبله وسيلة إليه، وعون عليه.

فمراقبة الحق سبحانه وتعالى: توجب إصلاح النفس، واللطف بالخلق. مدارج السالكين (٢/ ٤٧٧)

أنفع غذاء ودواء للقلب

أنفع الأغذية غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية دواء القرآن. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٧٠)

فلم ينزل الله سبحانه من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أشجع في إزالة الداء من القرآن. الداء والدواء (ص: ٨)

أرباب العزائم

أرباب العزائم والبصائر أشد ما يكونون استغفارا عقيب الطاعات، لشهودهم تقصيرهم فيها، وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه، وأنه لولا الأمر لما أقدم أحدهم على مثل هذه العبودية، ولا رضيها لسيده. مدارج السالكين (١/ ١٩٢)

أرباب العزائم في السير لا يقنعون برسوم الأعمال وظواهرها، ولا يعتدون إلا بأرواحها وحقائقها. مدارج السالكين (١/ ٤٧٠)

المطلب الأعلى

المطلب الأعلى موقوف حصوله على: همة عالية، ونية صحيحة

فمن فقدهما تعذر عليه الوصول إليه فإن الهمة إذا كانت عالية تعلقت به وحده دون غيره وإذا كانت النية صحيحة سلك العبد الطريق الموصلة إليه فالنية تفرد له الطريق والهمة تفرد له المطلوب، فمدار الشأن على همة العبد ونيته وهما مطلوبة ولا يتم له إلا بترك ثلاثة أشياء، العوائد والرسوم والأوضاع التي أحدثها الناس

الثاني هجر العوائق التي تعوقه عن إفراد مطلوبة وطريقه وقطعها

الثالث قطع علائق القلب التي تحول بينه وبين تجريد التعلق بالمطلوب

والفرق بنيها أن العوائق هي الحوادث الخارجية والعلائق هي التعلقات القلبية بالمباحات ونحوها وأصل ذلك ترك الفضول التي تشغل عن المقصود من الطعام والشراب والمنام والخلطة فيأخذ من ذلك ما يعينه على طلبه ويرفض منه ما يقطعه عنه أو يضعف طلبه. الفوائد لابن القيم (ص: ١٤٥)

١: العوائد وهي اعتياد الناس لفعل اشياء معينة فزادت عن حدها مثل كثرة النوم وفضول الكلام وفضول الاستماع والواجب على الانسان قبل رمضانان يهجر هذه العوائد

٢: العلائق التي تعلق القلب بها وهي حب القلب لأشياء دون الله ورسوله والله عز وجل يقول " قل ان كان آباؤكم وابناؤكم..... " الآية فالواجب على الانسان قطع هذه العلائق من قلبه وان يقدم حب الله على كل حب.

٣: العوائق التي تعوق الطريق وهي شرك وعلاجه تجريد النفس للتوحيد وبدعة

مثقال ذرة من إيمان

مثقال ذرة من هذه اللذة لا يعدل بأمثال الجبال من لذات الدنيا ولذلك كان مثقال ذرة من إيمان بالله ورسوله يخلص من الخلود في دار الآلام. روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ١٦٥)

وذرة من ذل وانكسار أحب إليه سبحانه وتعالى وأنفع للعبد من الجبال الرواسي. روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٣٠٦)

وذرةٌ من هذا الذل وهذه الكسرة ونفسٌ منه أحب إلى الله من طاعات أمثال الجبال من المدلين المعجبين بأعمالهم وعلومهم وأحوالهم، وأحب القلوب إلى الله سبحانه قلب قد تمكنت منه هذه الكسرة، وملكته هذه الذلة، فهو ناكس الرأس بين يدي ربه، لا يرفع رأسه إليه حياء وخجلا من الله.

تعظيم الأمر والنهي

التعظيم: على ثلاث درجات. الأولى: تعظيم الأمر والنهي، وهو أن لا يعارضا بترخص جاف. ولا يعرضا لتشدد غال. ولا يحملا على علة توهن الانقياد.

هاهنا ثلاثة أشياء، تنافي تعظيم الأمر والنهي.

أحدها: الترخص الذي يجفو بصاحبه عن كمال الامتثال.

والثاني: الغلو الذي يتجاوز بصاحبه حدود الأمر والنهي.

فالأول: تفريط. **والثاني:** إفراط.

وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو. ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه. كالوادي بين جبلين. والهدى بين ضلالتين. والوسط بين طرفين ذميمين. فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه: مضيع له. هذا بتقصيره عن الحد. وهذا بتجاوزه الحد.

وقد نهى الله عن الغلو بقوله: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق} [المائدة: ٧٧].

والغلو نوعان: نوع يخرجه عن كونه مطيعا. كمن زاد في الصلاة ركعة، أو صام الدهر مع أيام النهي، أو رمى الجمرات بالصخرات الكبار التي يرمى بها في المنجنيق، أو سعى بين الصفا والمروة عشرا، أو نحو ذلك عمدا.

وغلو يخاف منه الانقطاع والاستحسار. كقيام الليل كله. وسرد الصيام الدهر أجمع. بدون صوم أيام النهي. والجور على النفوس في العبادات والأوراد، الذي قال فيه النبي ﷺ: (إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه. فسددوا وقاربوا ويسروا. واستعينوا بالغدوة والروحة. وشيء من الدلجة) يعني استعينوا على طاعة الله بالأعمال في هذه الأوقات الثلاثة. فإن المسافر يستعين على قطع مسافة السفر بالسير فيها.

وقال ﷺ (ليصل أحدكم نشاطه. فإذا فتر فليرقد) رواهما البخاري.

وفي صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال: (هلك المتطعون – قالها ثلاثا – وهم المتعمقون المتشددون).

وفي صحيح البخاري عنه ﷺ (عليكم من الأعمال ما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا).

الثالث قوله: ولا يحملا على علة توهن الانقياد.

يريد: أن لا يتأول في الأمر والنهي علة تعود عليهما بالإبطال، كما تأول بعضهم تحريم الخمر بأنه معلل بإيقاع العداوة والبغضاء، والتعرض للفساد.

وقد بلغ هذا بأقوام إلى الانسلاخ من الدين جملة. وقد حمل طائفة من العلماء أن جعلوا تحريم ما عدا شراب خمر العنب معللا بالإسكار. فله أن يشرب منه ما شاء، ما لم يسكر.

ومن العلل التي توهن الانقياد: أن يعلل الحكم بعلة ضعيفة، لم تكن هي الباعثة عليه في نفس الأمر. فيضعف انقياد العبد إذا قام عنده أن هذه هي علة الحكم. ولهذا كانت طريقة القوم عدم التعرض لعلل التكاليف خشية هذا المحذور.

وأيضا فإنه إذا لم يمتثل الأمر حتى تظهر له علته، لم يكن منقادا للأمر. وأقل درجاته: أن يضعف انقياده له. مدارج السالكين (٢/ ٤٦٤)

رؤية العمل

من عجب أو رؤية نفسه فيه أو يمن به أو يطلب من العباد تعظيمه به أو يستشرف بقلبه لمن يعظمه عليه أو يعادي من لا يعظمه عليه ويرى أنه قد بخسه حقه وأنه قد استهان بحرمته. فهذا أي شيء يكفر؟ الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ١٠)

الفهـــــــرس

تربوية العبادة..... ٢
رمضان فرصة ثمينة فاغتنمه ٧
رمضان شهر الانتصارات..... ١٩
أعمال العشر وتحري ليلة القدر ٣٢
وقفات قبل الفوات..... ٤٤
ويستمر المسير إلى اللَّه..... ٥٤
تحريك الفؤاد لذوق حلاوة الأنس برب العباد..... ٦٥
رجلٌ حيزت له الدنيا ٨٥
بيوت الرحمن..... ١٠٠
ملف العدد "قواعد وفوائد في تزكية النفس"..... ١١٤